حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

لصاحب القلم السيال، والسحر الحلال

العلامة ابن القيم

رحمه الله

يطلب من :

المكتبة الإسلامية التجارية بطنطا
لصاحبها
محمد أبو العز وأولاده

مطبعة دار التأليف ٨ شارع يعقوب بالمالية بمصر تليفون ٢١٨٢٥

كلمة الناشر

منذ أنشئت « مطبعة دار التأليف » وهى دائبة على نشر الكتب الدينية النافعة مع ما فى ذلك من تضحية لقلة الراغبين فيها . ومرضة عن نشر كتب الخرافات مع رواجها ، راجية من الله العون على أمرها ، والثبات على خطتها .

وهى اليوم تنشر « كتاب حادى الأرواح » لثلاثة أصناف من الناس :

أولها : صنف ممتحن بضيق رزقه ، أو ضعف بدنه ، أو فقد ولده ، ونحو ذلك مما يكره ، فيجد فى هذا الكتاب سلواه ، وكلما أمعن فى قراءته زالت بلواه ، وامتلأ قلبه بالرضا عن الله .

ثانيهما : صنف ممتحن بالسعة فى الرزق ، والعافية فى البدن ، ونحو ذلك مما يحب ، فيجد فى هذا الكتاب وصف الجنة وما فيها من خيرات حسان مما لم يخطر ببال إنسان ، وأنها أبدية لا تفنى ، وأن ما بيده من الدنيا إذا انصرف به عن ربه كان وبالا عليه ، فيجد ذلك من غروره بدنياه لأنها إلى زوال ، وأنها كانت عند غيره قبل أن تنتقل إليه ، وعما قريب تنتقل منه إلى سواه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ثالثهما : صنف ثالث يزعم أنه من الجيل الجديد ، وأن ثقافته غربية ، فهو لا يؤمن بالجنة ونعيمها وما فيها من عظيم الأنهار والأشجار ، وأن عقله لا يتصور شيئاً من ذلك — فيجد فى هذا الكتاب من الأدلة النقلية والعقلية ما يرد إليه عقله الشارد، وصوابه الذاهب ، فيكون من الموقنين .

وبالجملة فإن كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح يسوق القارىء سوقا إلى الجنة وأعمالها ، ويشوقه شوقا إلى سلوك سبيلها ، والانضمام إلى أهلها ، واجتناب كل ما يبعد عنها .

كل ذلك فى عبارة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام ، وتفصيل هو السحر الحلال، والله ولى التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه الإعانة ﴾

الحمد لله الذى جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا ، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم ، وحفها بالمكاره وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا . وأودعها ما لا عين رات ، ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البشر على لسان خير البشر ، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا .

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل إذ لم يخلقهم عبثا ، ولم يتركهم سدى ولم يغفلهم هملا بل خلقهم لأمر عظيم ، وهيأهم لخطب جسيم ، وعمر لهم دارين ، فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبغ سوى ربه الكريم ، لا ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملا .

والحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلا . فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وأمينه على وحيه ، خيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين . بعثه للايمان مناديا ، والى دار السلام داعيا . وللخليقة هاديا ، ولكتابه تاليا ، وفى مرضاته ساعيا ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهيا ، أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوام الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسد

إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه ، فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين فسبحان من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره ورفع له ذكره ، ، جعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهاراً ، إلى أن طلع فجر الاسلام وأشرقت شمس الايمان ، وعلت كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنوررسالته الأرض بعد ظلماتها . وتألفت بهالقلوب بعد تفرقهاوشتاتها فأشرق وجه الدهر حسنا وأصبح الظلام ضياء . واهتدى كل حيران .

فلما كمل الله بهدينه وأتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغرسالاتربهونصح عباده ، وجاهدفي اللهحق جهاده ، خيره بين المقام فى الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى ، والمحل الأرفع الأسنى.وقد ترك أمته على الواضحة الغراء والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه واتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وأن الله لسميع عليم) فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده ، وعرفنا به ودعا إليه .

أما بعدفان الله سبحانه وتعالىلم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى . بل خلقهم لأمرعظيم. وخطب جسيم ، عرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقا ووجلا وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة ، وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا ، وحمله الانسان على ضعفه وعجزهعن حمله.وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنياصحبة الأنعام السائمة ، لاينظرون فى معرفة موجدهم وحقه عليهم ، ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبرإلى دار القرار ، ولا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلىالآخرة الباقية،فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعيالعقل . وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني الباطلةوالخدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل،وران على قلوبهمسوء العمل ، فهمهم فى لذات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافاتووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضوانا ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » .

والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من أنفاسه لاقيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه . فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطه حيث لم يقــدم لحياته ، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم

﴿ فصل ﴾ ولما علم الموفقون ماخلقوا له وما أريد بإيجـادهم رفعوا رءوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه . وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأو من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى أبد لايزول ولا ينفد ـ بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنـام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا ، وإن سر يوماً أحزن شهورا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متالف . فياعجباً من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفانى الخسيس، على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ـ ومساكن طيبــة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ـ وأبكاراً عرباً أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيآت الاخلاق مسافحات أو متخذات أخدان ـ وحوراً مقصورات فى الخيام ، بخبيثات مسيبات بين الأنام ـ وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ـ ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ـ وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والالحان ـ والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ـ ونداء المنادى يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ، وتحيوا فلا تموتوا . وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنـــه ولا متقـدم
أجد الملامة فى هــواك لذيذة ... حبــاً لذكرك فليلمنى اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعـه يوم الحسرة والنـدامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا . وسيق المجرمون إلى جهنم وردا ، ونادى

المنادى على رءوس الأشهاد . ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الاكرام ، وادخر لهم من الفضل والانعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لاخير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكا كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولايلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال ، فهم فى روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال (١) يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين . لايصدعون عنها ولاينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بماكانوا يعملون) (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون)

تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد . فما قلب ولا استام (٢) إلا أفراد من العباد ، فواعجبا لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ، وكيف صدفت (٣) عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟

﴿ شعر فى وصف الجنة ﴾

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة وحفت بمايؤذى النفوس ويؤلم
فلله مافى حشوها من مسرة وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها وروضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المـ ـزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عند ما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيانظرة أهدت إلى الوجه نضرة أمن بعدها يسلوا المحب المتيم

---

(١) هى بيت العرس قد زين بالستائر (٢) أى ولا ساوم شأن الراغب (٣) أى انصرفت

ولله كم من خـيرة إن تبسمت أضاء لهـا نور من الفجر أعظم
فيالذة الابصار إن هى أقبلت ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ويا خجلة الفجـرين حين تبسم
فان كنت ذا قلب عليل بحبها فلم يبق إلا وصلهـا لك مرهم
ولا سيما فى لثمهـا عند ضمها وقد صار منها تحت جيدك معصم
يراها إذا أبدت له حسن وجهها يلذ به قبل الوصـال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها فواكه شتى طلعهـا ليس يعدم
عناقيد من كـرم وتفاح جنة ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن فى جمع واحد فيا عجباً من واحـد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت بجملتهـا إن السـلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها تولى على أعقـابه الجيش يهزم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا فهـذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها تيقن حقـا أنه ليس يهرم
وكن مبغضاً للخائنات لحبهـا فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيماً عن سواها فإنها لمثلك فى جنـات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك فى غد تفوز بعيد الفطر والنـاس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعـلم
فحى على جنات عدن فانها منازلنـا الأولى وفيهـا المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى تعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وحى على السوق الذى فيه يلتقى الـ محبون ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له فقد أسلف التجـار فيه وأسلموا
وحى على يوم المزيد الذى به زيادة رب العرش فاليوم موسم

وحى على واد هنا لك أفيح ... وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هنا لك وفضة ... ومن خالص العقيان لا تتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا ... لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا همو فى عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجنات لايتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليمه إذ يسلم
يقول سلونى ما اشتهيتم فكل ما ... تريدون عندى إننى أنا أرحم
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا ... فأنت الذى تولى الجميل وترحم
فيعطيهمو هذا ويشهد جمعهم ... عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعاً هذا ببخس معجل ... كأنك لاتدرى ، بلى سوف تعلم
فان كنت لاتدرى فتلك مصيبة ... وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

﴿ فصل ﴾ وهذا كتاب اجتهدت فى جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة . وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة ، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس ، ممتع لقارئه مشوق للناظر فيه ، لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع العوائد وفرائد القلائد على ما لعل المجتهد فى الطلب لايظفر به فيما سواه من الكتب ، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات والآثار الموقوفات والأسرار المودعة فى كثير من الآيات . والنكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات . إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا ، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العليات إلى العيش الهنى فى تلك الغرفات ، وسميته « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » فانه اسم يطابق مسماه ، ولفظ يوافق معناه ، والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه وتأليفه أردت ، فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه

وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعد الله لهم فى الجنة ، فانهم المستحقون للبشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة . وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه ، لا تأخذهم فى نصرة سنته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام . والسنة أجل فى صدورهم من أن يقدموا عليها

رأياً فقهياً أو بحثاً جدليا ، أو خيالاصوفياً أو تناقضاً كلاميا، أو قياسافلسفياً أوحكما سياسياً فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود . فياأيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك وبنات أفكاره تزف اليك . فان صادفت كفؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا باحسان ، وإن كان غيره فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد المنان وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان . والله برىء منه ورسوله

والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، مدنيـاً لمؤلفه وقارئـه وكاتبه من جنات النعيم . وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه ،وأن ينفع بهمن انتهى اليه. إنه خير مسؤول وأكرم مأمول . وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ الباب الأول فى بيان وجود الجنة الآن ﴾

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم ؛ وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد : على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فانهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها ، الى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن . وقالت بل الله ينشئها يوم القيـــامة . وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله . وأنه ينبغى له أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا . وقاسوه على خلقه فى أفعالهم . فهم مشبهة فى الأفعال . ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات . وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها . قالوا ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة : لم يكن مافعله واقعاً على وجه الحكمة . ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه !!

فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسده وآرائهم الباطلة . وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ماخالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها . وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها . والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء : ولهذا يذكر السلف فى عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ، ويذكر مَن صنّف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لايختلفون فيها

قال أبو الحسن الأشعرى فى كتاب (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) :

جملة ماعليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وماجاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئا ، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق ؛ وأن النار حق وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . وأن الله تعالى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) وكما قال (بل يداه مبسوطتان) وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجرى بأعيننا) وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن أسماء الله تعالى لايقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج . وأقروا أن الله علماً كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة. وأثبتوا لله القوة كما قال (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقالوا إنه لايكون فى الأرض من خير ولا شر إلا ماشاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » وكما قال المسلمون : ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن وقالوا إن أحداً لايستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لايفعله ، وأقروا أنه لاخالق إلا الله تعالى ،وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لايقدرون أن يخلقوا شيئا . وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين . ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين . ولو هداهم لكانوا مهتدين . وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين .ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم . وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره . ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره . ويؤمنون أنهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً إلا ماشاء الله كما قال . ويلجئون أمرهم إلى الله . ويثبتون الحاجة إلى الله فى كل وقت والفقر الى الله فى كل حال .

ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام فى الوقف واللفظ : فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم . لايقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق .ويقولون إن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر . ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله تعالى محجوبون . قال الله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »

وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية فى الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر . والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم . والاسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء فى الحديث . والاسلام عندهم غير الايمان

ويقرون بأن الله مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وانها لأهل الكبائر من أمته ، وبعذاب القبر ، وأن الحوض حق والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدى الله تعالى حق . ويقرون بأن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . ويقولون أسماء الله هى الله تعالى . ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء . ويقولون أمرهم الى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم . ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ . وينكرون الجدال والمراء فى الدين والخصومة فى القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ، بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولا لم . لأن ذلك بدعة . ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرض بالشرك وإن كان مريداً له

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم : صغيرهم وكبيرهم . ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضى الله عنهم . ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ « ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر ؟ » كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ . ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول)

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يبتدعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ؛ ويقرون أن الله تعالى يجىء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله تعالى يقرب

من خلقه كيف يشاء كما قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر . ويثبتون المسح على الخفين سنة ، ويرونه فى الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال . وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح . وأن لا يخرج عليهم بالسيف ، وأن لا يقاتلوا فى الفتنة . ويصدقون بخروج الدجال . وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله . ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا فى المنام . وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم : ويصدقون أن فى الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى . وأن السحر كائن موجود فى الدنيا . ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم . ويقررون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات مات بأجله وكذلك كل من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراما . وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم . وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد . وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون . وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله تعالى . ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه . وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين . ويدينون بعبادة الله فى العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب . ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة . والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب .

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه . وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل . وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان . وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) وقد رأى النبى ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما فى الصحيحين من حديث أنس فى قصة الإسراء وفى آخره « ثم انطلق بى جبريل حتى انتهى إلى سدرة

المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى . قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك ، وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى : إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار . فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة » . وفى المسند وصححه الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ـ فذكر الحديث بطوله وفيه : فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً الى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ، وذكر الحديث . وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم . قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله . قال فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً فى الجنة . قال نبى الله ﷺ فيراهما جميعاً » .

وفى صحيح أبى عوانة الأسفراينى وسنن أبى داود من حديث البراء بن عازب الطويل فى قبض الروح « ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال . هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا . فإذا رأى ما فى الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى فيقال اسكن » وفى مسند البزار وغيره من حديث أبى سعيد قال شهدنا مع النبى ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق ، فاقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل ؟ يعنى محمداً ﷺ فإن كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك ؛ فأما إذا آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة ، فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن » وذكر الحديث وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت « خسفت الشمس فى حياة رسول الله ﷺ فذكرت الحديث إلى أن قالت » ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة » وقال رسول الله ﷺ « رأيت فى مقامى هذا كل شىء وعدتم ، حتى لقد رأيتنى آخذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى أقدم . ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتمونى تأخرت

وفى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ عن عبد الله بن عباس قال : انخسفت الشمس على عهد

رسول الله ﷺ فذكر الحديث . وفيه : فقال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله . فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت(١) فقال إنى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا . ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع . ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا بم يا رسول الله ؟ قال بكفرهن ، قيل أيكفرون بالله ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط » .

وفى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبى ﷺ فى صلاة الخسوف قال « قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت أى رب وأنا معهم ؟ فإذا امرأة حسبت أنه قال : تخدشها هرة . قلت ما شأن هذه ؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعا : لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل » وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى هذه القصة قال « عرض على كل شىء تولجونه ، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفا فقصرت يدى عنه . وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب فى هرة ، وذكر الحديث . وفى صحيح مسلم عنه فى هذا الحديث « ما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه . لقد جىء بالنار وذلك حينما رأيتمونى تأخرت مخافة ان يصيبنى من لفحها . وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبة فى النار وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجنى ، وإن غفل عنه ذهب به . وحتى رايت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش(٢) الأرض حتى ماتت جوعا. ثم جىء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ، ولقد مددت يدى وانا اريد ان اتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لى ان لا افعل ، فما من شىء توعدونه إلا قد رايته فى صلاتى هذه » .

وفى مسند الإمام احمد وسنن ابى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو فى هذه القصة « والذى نفس محمد بيده لقد ادنيت الجنة حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها ، ولقد ادنيت النار منى حتى لقد جعلت اتقيها خشية ان تغشاكم » وذكر الحديث ، وفى صحيح مسلم من حديث انس بن مالك قال « بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ اقيمت الصلاة فقال : يا ايها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رءوسكم فإنى اراكم من امامى ومن خلفى ، وايم الذى نفسى بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ،

---

(١) اى نكصت وتأخرت إلى وراء (٢) اى هوام الأرض وحشراتها

قالوا وما رأيت يا رسول الله ؟ قال رأيت الجنة والنار » وفى الموطأ والسنن من حديث كعب ابن مالك قال:قال رسول الله ﷺ « إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة » وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة .

ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبى ﷺ « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق فى ثمر الجنة أو شجر الجنة » رواه أهل السنن وصححه الترمذى .

وسيأتى فى آخر هذا الكتاب فى الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى . وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك

وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها . فأمر الجنة فحفت بالمكاره ، فقال فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . قال فنظر إليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال ثم أرسله إلى النار قال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . قال فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضا ثم رجع فقال وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها ثم حفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات » وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة يارب مالها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم . وقالت النار يارب مالها يدخلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال أنت رحمتى أصيب بك من أشاء ، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها » وفى الصحيحين من حديث بن عمر عن النبى ﷺ أنه قال « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف » .

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن بشير ، ورفع الحديث قال « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان : تقول الجنه يارب قد طاب ثمرى واطردت أنهارى واشتقت إلى أوليائى ، فعجل إلى بأهلى ، وتقول النار اشتد حرى وبعد قعرى وعظم جمري ، فعجل على بأهلى » .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال « بينا أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف ، قال قلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأزفر » وفى صحيح مسلم من حديث جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت لمن هذا ؟ فقيل لرجل من قريش . فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل لعمر بن الخطاب فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته ، قال فبكى عمر وقال أويغار عليك يا رسول الله ؟ وسيأتى حديث بلال وقول النبى ﷺ « ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك (١) بين يدى » وغير ذلك من الأحاديث التى تأتى إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح ثم مد يده ثم أخرها فلما سلم قيل له يا رسول الله لقد صنعت فى صلاتك شيئاً لم تصنعه فى غيرها ، قال إنى رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية ، حبها كالدباء (٢) فأردت أن أتناول منها فأوحى إليها أن استأخرى فاستأخرت . ثم رأيت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أقرهم فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا ، فلم أر لى عليكم فضلا إلا بالنبوة .

(فإن قيل) فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة ، والاستدلال بها فى غاية الظهور ؟

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة فى غاية الظهور فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة فى الأرض فى شرفها ، ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم ، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته .

﴿ الباب الثانى ﴾

« فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هى جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الأرض » .

قال منذر بن سعيد فى تفسيره . وأما قوله تعالى لآدم (اسكن أنت وزوجك الجنة)

---

(١) الخشخشة ، حركة لها صوت . (٢) هو القرع .

فقالت طائفة : أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة . وقال آخرون : هي جنه غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها . ليست جنة الخلد . قال : وهـــذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له ، والموجبة للقول به .

وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره: واختلف الناس في الجنة التي أسكناها على قولين. (أحدهما) أنها جنة الخلد (الثاني) أنها جنة أعدها الله تعالى لهما ، وجعلها دار ابتلاء ، وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين (أحدهما) أنها في السماء لأنه أهبطهما منها . وهذا قول الحسن (الثاني) أنهـا في الأرض لأنه امتحنهمـا فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار . وهذا قول ابن بحر . وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام . والله أعلم بصواب ذلك .هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور: واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية :هل كانت في الأرض أو في السماء ؟ وبتقدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصبهاني : هذه الجنة في الأرض، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله (اهبطوا مصرا) واحتجا عليـــه بوجوه . (القول الثاني) وهو قول الجبائي أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة (والقول الثالث) وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب .

وقال أبو القاسم الراغب في تفسيره: واختلف في الجنة التي أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين كان بستانا جعله الله تعالى له امتحانا ولم تكن جنة المأوى . وذكر بعض الاستدلال على القولين . وممن ذكر الخلاف أيضا أبو عيسى الرماني في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ، ثم قال : والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا ،وهو قول أبي علي وشيخنا أبي بكر ، وعليه أهل التفسير . واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة وجعله قولا رابعاً فقال (والقول الرابع) أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع . قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه .قال : وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني . ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ، ولا تابع التابع ، ولا موصولا ولا شاذاً مشهوراً .وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله قالوا إن جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين .

وإنما قلت هذا ليعلم أنى لا أنصر مذهب أبى حنيفة ، وإنما أنصر ما قام عليه الدليل من القرآن والسنة . هذا ابن زيد المالكى يقول فى تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال : السكوت عن الكلام فى هذا أفضل . وهذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل (أن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) قال يعنى فى الأرض وابن نافع إمام ، وابن عيينة إمام . وهم لا يأتوننا بمثلهما ، ولا من يضاد قوله قولهما ، وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه قال : ثم تركهما وقال اثمروا وأكثروا واملؤا الأرض وتسلطوا على ألوان البحور وطير السماء والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها . فأخبر أن فى الأرض خلقه وفيها أمره . ثم قال : ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار : سيحون وجيحون ودجلة والفرات — ثم ذكر الحية فقال . وكانت أعظم دواب البر فقالت للمرأة إنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة .

ثم قال بعد كلام : ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض التى منها أخذ ثم قال : قال وهب : وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن فى شرق أرض الهند . قال واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به واديا من أودية اليمن فى شرق عدن فكمن فيه.

وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله (اهبطوا) هو كما يقال هبط فلان أرض كذا وكذا . قال منذر بن سعيد : فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم عليه السلام خلق فى الأرض وفيها سكن وفيها نصب له الفردوس ، وأنه كان بعدن . وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت فى الأرض . لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك . فاعتبروا يا أولى الألباب وأخبر أن الحية التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل من أعظم دواب السماء . فهم يقولون أن الجنة لم تكن فى الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة . ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن — وليس فى جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها ، ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التى أخذ منها - يعنى أخرجه من الفردوس الذى نصب له فى عدن فى شرق أرض الهند .

وهذه الأخبار التى حكى ابن قتيبة إنما تنبىء عن أرض اليمن وعن عدن وهى من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن . ثم أكد ذلك بأن قال الأربعة الأنهار التى ذكرناها منقسمة عن النهر الذى كان يسمى فردوس آدم .

قال منذر : وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبى هريرة قال : واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة وهو فى الأرض ، فخرج أولاده يطلبون

ذلك له ، حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقا يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد فى الأرض قال ، ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ولو كانت جنة الخلد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن . وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان ـ فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسئلة ، ونحن نسوق حجج الفريقين ان شاء الله تعالى ونبين ما لهم وما عليهم .

(الباب الثالث)

فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة .

قالوا: قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم ، لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعا قالوا : وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ ، يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟ ، وذكر الحديث .

قالوا: وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها . وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى . وقول موسى « أخرجتنا ونفسك من الجنة » ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة ، وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة « وهل أخرجكم من الجنة ألا خطيئة أبيكم » وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا قالوا وقد قال تعالى فى سورة البقرة (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين) فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين (أحدهما) من لفظة « اهبطوا » فإنه نزول من علو إلى سفل (والثانى) قوله « ولكم فى الأرض مستقر » عقب قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، ثم اكد هذا بقوله فى سورة الأعراف « قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الاخراج وبعده .

قالوا : وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون إلا فى جنة الخلد فقال (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) وهذا لا يكون فى الدنيا أصلا

فإن الرجل ولو كان فى أطيب منازلها لابد أن يعرض له شىء من ذلك ، وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ والعرى والضحى . فإن الجوع ذل الباطن ، والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن . والضحى حر الظاهر ، فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن ؛ وحر الظاهر والباطن ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى . وهذاشأن ساكن جنة الخلد

قالوا : وأيضاً فلو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب إبليس فى قوله (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن ملكها يبلى .

قالوا : وأيضاً هذه القصة فى سورة البقرة ظاهرة جداً فى أن الجنة التى أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم آسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة . أتى فيه بضمير الجمع وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية ، وهذا ضعيف جداً إذلا ذكر للحية فى شىء من قصة آدم ولا فى السياق ما يدل عليها . وقيل الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله (وكنا لحكمهم شاهدين) وهما داود وسليمان . وقيل لآدم وحواء وذريتهم . وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول ؛ لأنها بين قول لا دليل عليه . وبين ما يدل اللفظ على خلافه . فثبت أن إبليس داخل فى هذا الخطاب وأنه من المهبطين .

فإذا تقرر هذا فقد ذكر سبحانة الإهباط ثانياً بقوله (قلنا اهبطوا منها جميعا ، فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والظاهر أن هذا الاهباط الثانى غير الأول . وهو إهباط من السماء إلى الأرض والأول اهباط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة التى أهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد .

وقد ظن الزمخشرى أن قوله « اهبطوا منها جميعاً » خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو) قال ويدل على ذلك قوله (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ، ومعنى قوله (بعضكم لبعض عدو) ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم بعضا .

وهذا الذى اختاره أضعف الأقوال فى الآية ، فان العداوة التى ذكرها الله تعالى إنما هى بين آدم وإبليس وذريتهما كما قال الله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو . وأما آدم وزوجته فانه إنما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة . فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته. والعداوة بين الانسان والشيطان . وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور - مع منافرته لطريق الكلام - دون جمعه ، مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشرى شيئا

وأما قوله تعالى فى سورة طه (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) وهذا خطاب لآدم وحواء وقد جعل بعضهم لبعض عدواً ، فالضمير فى قوله « اهبطا منها » إما أن يرجع إلى آدم وزوجته،أو إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له . وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالاهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر . وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين (أحدهما) أمره تعالى لادم وزوجته بالهبوط (والثانى) إخباره بالعداوة بين آدم وزوجته وبين إبليس . ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الأول . ولا بد أن يكون إبليس داخلا فى حكم هذه العداوة قطعا كما قال تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك) وقال للذرية (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)

وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية . وأما الاهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الافراد كقوله فى سورة الاعراف (قال اهبط منها) وكذلك فى سورة « ص » وهذا لابليس وحده ، وحيث ورد بصغة الجمع فهو لآدم وزوجه وابليس ، إذ مدار القصة عليهم،وحيث وردبلفظ التثنية فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية . وإماأن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية . فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما . وقد حكيت القولين فى ذلك

والذى يوضح أن الضمير فى قوله(اهبطا منها جميعا)لآدم وابليس أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى : قال اهبطا منها جميعا) وهذا يدل على أن المخاطب بالاهباط هو آدم ومن زين له المعصية . ودخلت الزوجة تبعا . فان المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما

من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ فى حصول هذا المعنى من ذكر أبوى الأنس فقط . وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بانها أكلت مع آدم .وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فعلم أن حكم الزوجة كذلك وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم . وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريدها إلى ذكر أبى الأنس وأمهم فتأمله

وبالجملة فقوله (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) ظاهر فى الجمع فلا يسوغ حمله على الاثنين فى قوله « اهبطا » من غير موجب .

قالوا : وأيضا فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع كقوله (اسكن أنت وزوجك الجنة) ونظائره — ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التى وعد الرحمن عباده بالغيب . فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها . فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة فى قلوب المؤمنين . وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالاضافة أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض .فالأول كقوله (جنتين من أعناب والثانى كقوله (ولولا إذ دخلت جنتك) والثالث كقوله) إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) .

قالوا:ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ماروى هودة بن خليفة عن عوف عن قسامة ابن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال : إن الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء . فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

قالوا وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له إن تاب إليه وأناب إن يعيده اليها كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال : « يارب ألم تخلقنى بيدك؟ قال بلى . قال أى رب ألم تنفخ فى من روحك؟ قال بلى. قال أى رب ألم تسكنى جنتك ؟ قال بلى قال أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال بلى . قال أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى انت إلى الجنة ؟ قال بلى قال فهو قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وله طرق عن ابن عباس وفى بعضها « كان آدم قال لربه إذ عصاه : رب إن أنا تبت وأصلحت ؟ فقال له ربه إنى راجعك إلى الجنة ».

فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد . ونحن نسوق حجج الآخرين .

(الباب الرابع)

فى سياق حجج الطائفة التى قالت ليست جنة الخلد وإنما هى جنة فى الأرض

قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها . قالوا قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة . ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه بصفاتها ، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئا بصفة ثم يكون ذلك الشىء بغير تلك الصفة التى وصفه بها

قالوا : فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ، ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها . ووصفها بأنها جنة الخلد ، وآدم لم يخلد فيها ، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى ؛ ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان . وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ، ووصفها بانها دار لا يعصى الله فيها أبدا وقد عصى آدم ربه فى جنته التى دخلها ، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل ، وسماها دار السلام ، ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة ، ودار القرار ولم يستقرا فيها وقال فى داخليها (وما هم منها بمخرجين) وقد أخرج منها الأبوان . وقال (لا يمسهم فيها نصب) وقد ند فيها آدم هاربا فارا ، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه ، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم . وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه . وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب ابليس . وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق ؛ وقد كذب فيها ابليس وحلف على كذبه

وقد قال تعالى للملائكة (إنى جاعل فى الأرض خليفة) ولم يقل إنى جاعل فى جنة المأوى فقالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى . وقد اخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فان كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا يبلى ، فكيف لم يرد عليه ويقول له كيف تدلنى على شىء أنا فيه وقد أعطيته ، ولم يكن سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ اسكنه الجنة انه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول ابليس ولا مال إلى نصيحته . ولكنه لما كان فى غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد

قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهى دار القدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس

فكيف توصل إليها ابليس الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ، ووسوس له ، وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلبه وإما أن تكون فى أذنه . وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين ؟

وأيضاً فبعد أن قيل له (اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره وهل هذا يلائم قوله (فما يكون لك أن تتكبر فيها) فان كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً فما التكبر بعد هذا ؟

فان قلتم : فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو فى الأرض وهما فوق السماء فى عليين فهذا غير معقول لغة ولا حسا ولا عرفاً ، وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل، إذ كيف يرتقى بعد الاهباط إلى أن يدخل الجنة ولو فى بطن الحية وإذا قلتم انه دخل فى قلوبهما ووسوس إليهما فالمحذور قائم

وأيضاً فان الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاما سماه سفاها (فقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة) وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة . ولما كان آدم خارجا من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) ولم يقل عن هذه الشجرة فعند ماقال لهما (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) لما أطمعهما فى ملكها والخلود فى مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لهما وإحضاراً لها عندهما ، وربهما تعالى قال لهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة . ولما أراد إخراجهما منها فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة كانهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التى نهيا عنها

وأيضاً فانه سبحانه قال (إليه يصعد الكلم الطيب) ووسوسة اللعين من اخبث الكلم تصعد إلى محل القدس . قال منذر : وقد روى عن النبى ﷺ ان آدم عليه السلام نام فى جنته وجنة الخلد لانوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ، فان النبى ﷺ سئل « أينام أهل الجنة فى الجنة ؟ قال لا ، النوم أخو الموت والنوم وفاة . وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ـ ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال . والنائم ميت أو كالميت

(قلت) الحديث الذى اشار إليه المعروف انه موقوف من رواية ابن ابى نجيح عن مجاهد قال : خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم . وقال اسباط عن السدى « اسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها ما انت ؟ قالت امرأة ، قال ولم خلقت ؟

قالت لتسكن إلى ، وقال ابن إسحاق عن ابن عباس : ألقى الله على آدم عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحما ، وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة يسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال لحمي ودمي وروحي ، فسكن إليها .

قالوا : ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه ، فإنه كان معراجا ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات — قالوا وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الأرض خليفة ، وكيف يسكنه دار الخلد التى من دخلها خلدفيها . ولا يخرج منها . قال تعالى (وماهم منها بمخرجين) .

قالوا:ولو لم يكن معنا فى المسألة أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام ، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا ، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل ، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التى قدرتموها فتكلفات ظاهرة كقول من قال يجوز أن يصعد إليها صعوداً عارضا لا مستقراً ، وقول من قال أدخلته الحية ، وقول من قال دخل فى أجوافها وقول من قال يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو فى الأرض وهما فوق السماء . ولا يخفى ما فى ذلك من التعسف الشديد ، والتكلف البعيد ، وهذا بخلاف قولنا فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته . فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره فى إخراجه منها والله أعلم .

قالوا:ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التى وعد المتقون أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهى إليه . وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذى فى جامعه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله ، فحمد الله بإذنه فقال ربه يرحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقال السلام عليكم قالوا وعليك السلام الخ ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه هى تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال اخترت يمين ربى ، وكلتا يديه يمين مباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته ، فقال يارب

ماهؤلاء ؟ قال هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم ، قال يارب من هذا ؟ قال هذا ابنك داود قد كتبت له عمرا أربعين سنة. قال يارب زده فى عمره . قال : ذلك الذى كتبت له، قال أى رب فانى قد جعلت له من عمرى ستين سنة ، قال أنت وذلك . قال ثم اسكن الجنة ماشاء الله ثم اهبط منها ، فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه . قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت، قد كتبت لى ألف سنة، قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة . فجحد فجحدت ذريته . ونسى فنسيت ذريته . قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود . قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة

قالوا: فهذا صريح فى أن آدم عليه السلام لم يخلق فى دار البقاء التى لايموت من دخلها: وإنما خلق فى دار الفناء التى جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلا معلوما رفيها أسكن

(فان قيل) فاذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمرا مقدرا وأجلا ينتهى إليه ، وأنه ليس من الخالدين، فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله (هل أدلك على شجرة الخلد) وقوله (أو تكونا من الخالدين)

فالجواب من وجهين ، أحدهما ، أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المكث الطويل كما سيأتى (الثانى) أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ماقدر له من عمره

قالوا: وأيضا فمن المعلوم الذى لاينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض، وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين، وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون فقيل هو الذى له صلصلة ليبسه ، وقيل هو الذى تغيرت رائحته ، من قولهم : صل اللحم ، إذا تغير . والحمأ الطين الأسود المتغير . والمسنون المصبوب . وهذه كلها أطوار التراب الذى هو مبدؤه الأول كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات ، لاقبل التخليق ولا بعده فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه ، وهذا ما لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم ماأخبر الله به

قالوا : ومن المعلوم أن مافوق السموات ليس بمكان للطين الأرضى المتغير الرائحة الذى قد أنتن من تغيره ، وانما محل هذا الأرض التى هى محل المتغيرات الفاسدات . وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة . فهذا أمر لايرتاب فيه العقلاء.

قالوا: وقد قال الله تعالى (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات

والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ

قالوا : فإذا جمع ماأخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض وجعله خليفة فى الأرض وأن إبليس وسوس إليه فى مكانه الذى أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفة ، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف،وأنه لالغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب ، وأن من دخلها لايخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام . وأن الله حرمها على الكافرين . وابليس رأس الكفر — فاذا جمع ذلك بعضه الى بعض. وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل فشمر اليه ، وربأ بنفسه عن حضيض التقليد ، تبين له الصواب والله الموفق

قالوا:ولولم يكن فى المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف اللهسبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة ، فدل على أنها دار تكليف لاجزاء وخلد

فهذا أيضا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها والله أعلم

(الباب الخامس)

(فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول)

قالوا : أما قولكم إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لايعرفون سواه،فالمسألة سمعية لاتعرف إلا بإخبار الرسل . ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة . فالمتبع فيه مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله،ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها . ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد أوجدناكم من كلام السلف مايدل على خلافه ، ولكن لما وردت الجنة مطلقا فى هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التىأعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها.فان أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئا . وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم ، وغير ذلك من الأمور الفطرية ، فدعوى باطلة . ونحن اذا رجعنا الى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات ، واستحالة المستحيلات .

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه . وقول آدم : وهل أخرجكم منها الا خطيئة أبيكم — فانما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما فى اللفظ الآخر

« إنى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها » . فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام ؟ وكذلك قول موسى له : أخرجتنا ونفسك من الجنة. فانه لم يقل له اخرجتنا من جنة الخلد

وقولكم : انهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التى فى الأرض، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم مالا يعلمه إلا الله ، وهى كالسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما فى كونهما فى الأرض لاينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء

وأما استدلالكم بقوله تعالى (وقلنا اهبطوا)عقيب إخراجكم من الجنة ـ فلفظ الهبوط لايستلزم النزول من السماء الى الارض ، غايته ان يدل على النزول من مكان عال الى أسفل منه . وهذا غير منكر ، فانها كانت جنة فى أعلى الارض فأهبطوا منها إلى الارض . وقد بينا أن الامر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما ، فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام ، فالآية ايضا من أظهر الحجج عليكم ، ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدتموها وقد تقدمت

واما قوله تعالى(ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين)فهذا لايدل على انهم لم يكونوا قبل ذلك فى الارض ، فان الارض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها ، فى محل لايدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى. فأهبطوا إلى ارض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور ، والجنة التى أسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى والارض التى اهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والاذى وانواع المكاره

واما قولكم : انه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لاتكون فى الدنيا ــ فجوابه ان تلك الصفات لاتكون فى الارض التى اهبطوا اليها ، فمن اين لكم انها لاتكون فى الارض التى اهبطوا منها ؟ واما قولكم ان آدم عليه السلام كان يعلم ان الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب ابليس فى قوله « هل ادلك على شجرة الخلد »

فجوابه من وجهين (احدهما) ان اللفظ انما يدل على الخلد وهو اعم من الدوام الذى لاانقطاع له ، فإنه فى اللغة المكث الطويل، ومكث كل شئ بحسبه. ومنه قولهم رجل مخلد اذا اسن وكبر ، ومنه قولهم لأثافى الصخور : خوالد ، لطول بقائها بعد دروس الاطلال . قال:

إلا رماداً هامـــداً دفعت عنـــه الرياح خوالد سحم

ونظير هذا اطلاقهم «القديم» على ماتقادم عهده وان كان له اول كما قال تعالى (كالعرجون القديم) و « انك لفى ضلالك القديم » وإفك قديم .

وقد أطلق تعالى الخلود فى النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس. وأطلقه النبي ﷺ على قاتل نفسه (الوجه الثانى) أن العلم بانقطاع الدنيا ومجىء الآخرة إنما يعلم بالوحى . ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك ،وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه صحفاً كما فى حديث أبى ذر ، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن قال تعالى « اهبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » وكذلك فى سورة البقرة « قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى » الآية .

وأما قولكم أن الجنة وردت معرفة باللام التى للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد — فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى(إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) وقولكم أن السياق ههنا دل على أنها جنة فى الأرض « قلنا » والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام فى الأرض ، فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لايجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استدلالكم بأثر أبى موسى : أن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها — فليس فيه زيادة على مادل عليه القرآن إلا تزوده منها ، وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد . وقولكم أن هذه تتغير وتلك لاتتغير — فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار . وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم » أى لم يتغير ولم ينتن . وقد أبقى الله سبحانه وتعالى فى هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير .

وأما قولكم أن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة . فلا ريب أن الأمر كذلك ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء .

ولفظ العود لايستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه « قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » .

وقد جعل الله سبحانه المظاهر عائداً بإرادته الوطء ثانيا أو بنفس الوطء أو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه .

فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها .

﴿ الباب السادس ﴾

(فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم)

قالوا : أما قولكم أن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول اليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد . فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة . وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الإسراء ، وأرواح المؤمنين والشهداء فى البرزخ فى الجنة . وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة . فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا . وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد .

قالوا : وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة وأنها لم توجد فى جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها . فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام . ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، ، وهذا لاينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ماحكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك . ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها ، فلا تنافى بين الأمرين .

وأما قولكم : إنها دار جزاء وثواب لادار تكليف ، وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لادار خلود .

فجوابه من وجهين (أحدهما) أنه إنما يمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة . فحينئذ ينقطع التكليف . وأما وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة . كيف وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت » الحديث وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع . فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لايتعدونها سواء سمى ذلك تكليفاً أو لم يسم .

(الوجه الثانى) أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها . وإنما كان حجراً عليهما فى شجرة واحدة من جملة أشجارها : إما واحدة بالعين أو بالنوع وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها .

فان أردتم بكونها ليست دار تكليف : امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات فلا دليل عليه . وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لايدل على مطلوبكم

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها ، والجنة لاينام أهلها .. فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فانما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لايموتون . وأما قبل ذلك فلا

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء . فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم . وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد اهباط الله له منها لايرتضيها منصف ـ ولكن لايمتنع أن يصعد إلى هنالك صعودا عارضاً . لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى وقدر أسبابه وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان . وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشىء من الوحى . وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لايستقرون فى المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) فلا تنافى بين هـــذا الصعود وبين الأمر بالهبوط . فهذا محتمل والله أعلم

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله ، وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه ، فجوابه أن إعلامه بذلك لاينافى إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة . وأما إخباره سبحانه أن داخلها لايموت وأنه لايخرج منها ــ فهذا يوم القيامة

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض ــ فلا ريب فى ذلك ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها . وقد جاء فى بعض الآثار « أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحا فجعل إبليس يطوف به ويقول لأمر ما خلقت . فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك فقال لئن سلطت عليه لأهلكنه . ولئن سلط علىّ لأعصينه » مع أن قوله سبحانه « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعـــلم غيب السموات والأرض » يدل على أنه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك .

ولو كان خلقه قد كمل فى الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يعيده الى الأرض . فقد أصعد المسيح ﷺ الى السماء ثم ينزله الى الأرض قبل يوم

القيامة . وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السموات — فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم والله أعلم

(الباب السابع)

(فى ذكر شبه من زعم أنها الجنة لم تخلق بعد)

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن نفنى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) و « كل نفس ذائقة الموت » فتموت الحور العين التى فيها والولدان وقد أخبر الله سبحانه أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون . لايموتون فيها . وخبره سبحانه لايجوز عليه خلف ولا نسخ

قالوا: وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال يامحمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » قال هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضاً من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى (ص) أنه قال « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » قال هذا حديث حسن صحيح

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغا منها لم تكن قيعانا ، ولم يكن لهذا الغرس معنى

قالوا : وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنهـا قالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبا أو بنى بيتاً : انسج لى ثوباً وابن لى بيتا

وأصرح من هذا قول النبى (ص) « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » متفق عليه — وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط باجماع أهل العربية وهذا ثابت عن النبى (ص) من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عنبسة

قالوا : وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد مادام يعمل ، فإذا فتر — فتر الملك عن العمل

قالوا: وقد روى ابن حبان فى صحيحه والامام أحمد فى مسنده من حديث أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله (ص) « إذا قبض الله ولد العبد قال ياملك الموت قبضت ولد عبدى ؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ، قال نعم قال فما قال ؟ قال حمدك واسترجع . قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد » وفى المسند من حديثه أيضا قال : قال رسول الله (ص)

« من صلى فى يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتاً فى الجنة » قالوا : وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم . فهذا ابن مزين قد ذكر فى تفسيره عن ابن نافع ـ وهو عن أئمة السنة ـ أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال « السكوت عن هذا أفضل » والله أعلم .

(البــــاب الثامن)

(فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة)

قد تقدم فى الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية فنقول ما تعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد ؟ أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد ، بل هى بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التى تقدم بعضها وسيأتى بعضها . وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة ، وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها وجميع ما أعد الله فيها لأهلها . وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شىء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر ؟ فهذا حق لا يمكن رده . وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر . وحديث ابن مسعود الذى ذكرتموه وحديث أبى الزبير عن جابر صريحان فى أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشىء الله سبحانه لقائله منه غراساً فى تلك الأرض . وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة . والعبد كلما وسع فى أعمال البر وسع له فى الجنة ؛ وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس ، وبنى له بناء وأنشىء له من عمله أنواع مما يتمتع به .

فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآيه ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما ، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام . ونحن نذكر بعض كلامهم فى الآية .

قال البخارى فى صحيحه : يقال كل شىء هالك إلا وجهه ـ إلا ملكه . ويقال إلا ما أريد به وجهه . وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والأرض فقد زالتا ، لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار . وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد . وأما قوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه)

فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل (كل من عليها فان) فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطمعوا فى البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض انهم يموتون فقال (كل شيء هالك) يعنى ميت (إلا وجهه) لأنه حى لا يموت . فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . اه كلامه . وقال فى رواية أبى العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الاصطخرى ذكر أبو الحسن فى كتاب الطبقات ـ قال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها . فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة . زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ـ وساق أقوالهم إلى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ; خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا . فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن . قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا . والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ; ولم يكتب عليهن الموت . فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل . وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض . وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض . وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام . والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء وأن الله عز وجل على العرش . والكرسى موضع قدميه وهو يعلم ما فى السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما فى قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ; ومسقط كل ورقة ، وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء ، لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة . ودونه حجب من نار ونور وظلمة . وما هو أعلم بها .

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (إلا هو معهم أينما كانوا) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) ونحو هذا من متشابه القرآن .

فقل إنما يعنى بذلك العلم لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك

كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان . وقال فى رواية أبى جعفر الطائى محمد بن عوف ابن سفيان الحمصى ، قال الخلال حافظ إمام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة ، كان احمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده — قال : أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها :

وأن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر ، قال النبى ﷺ « دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً ورأيت الكوثر . واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار يستتاب فإن تاب وإلا قتل وقال فى رواية عبدوس بن مالك العطار وذكر رسالة فى السنة قال فيها :

والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا . واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار .

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب البتة . ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم والله المستعان وعليه التكلان وهو الموفق للصواب .

(الباب التاسع)
(فى ذكر عدد أبواب الجنة)

قال الله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وقال فى صفة النار (حتى إذا جاءوها فتحت ابوابها) بغير واو . فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية . وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو ، وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ؛ ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية ، وانما هو استنباط بعض المتأخرين ، وقالت طائفة أخرى الواو زائدة والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية . وهذا أيضاً ضعيف . فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة . وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف . وقوله (وفتحت أبوابها) عطف على قوله (جاءوها) وهذا اختيار أبى عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم .

قال المبرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم . قال أبو الفتح ابن جنى : وأصحابنا

يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ، ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقى أن يقال : فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنة وذكره فى آية أهل النار ؟

فيقال : هذا أبلغ فى الموضعين ، فان الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت فى وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة ، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة . فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه ، فإنها دار الاهانة الخزى فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول .

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه . فاذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله ، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول أنا لها ، فيأتى إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيدعه ما شاء أن يدعه . ثم يأذن له فى رفع رأسه ، وأن يسأل حاجته ، فيشفع إليه سبحانه فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه ،

وإن مثل هذه الدار التى هى دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التى أولها من حين عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق . وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة . حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه فى فتحها لهم . وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك ، لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذى يدخله من شاء . فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والاخطار ما لا تنال إلا به فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ولهذه الدار . فليعد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيء له .

وتأمل ما فى سوق الفريقين إلى الدارين « زمراً » من فرحة هؤلاء باخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين ، أقوياء القلوب كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضا ، ويفرح بعضهم ببعض . وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون اليها زمراً يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم ببعض . وذلك أبلغ فى الخزى والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحداً واحداً .. فلا تهمل تدبر قوله : زمراً .

وقال خزنة الجنة لأهلها « سلام عليكم » فبدأوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر

ومكروه أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ماتكرهون ، ثم قالوا لهم « طبتم فادخلوها خالدين » أى سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فان الله حرمها إلا على الطيبين . فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود.

وأما أهل النار فانهم لما انتهوا اليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن ، وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ماهم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) فاعترفوا وقالوا « بلى » فبشروهم بدخولها والخلود فيها ، وأنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها « ادخلوها » ، وقول خزنة النار لأهلها « ادخلوا أبواب جهنم » تجد تحته سراً لطيفاً ومعنى بديعا . لايخفى على المتأمل وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء وأشده حراً . وأعظمه غماً ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ماهو أشد منها . ويدنوا من الغم والخزى والحزن والكرب بدخول الأبواب فقيل ادخلوا أبوابها . صغاراً لهم وإذلالا وخزيا .ثم قيل لهم : لايقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود فى النار .

وأما الجنة فهى دار الكرامة والمنزل الذى أعده الله لأوليائه فبشروا من أول وهلة بالدخول الى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) كيف تجد تحته معنى بديعا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هى . وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة . ومنه سمى الباب وصيداً وهى « مؤصدة فى عمد ممددة » قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب . قال مقاتل يعنى أبوابها عليهم مطبقه فلا يفتح لهم باب ولايخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد

وأيضا فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم فى الجنة حيث شاؤا . ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم . ودخول مايسرهم عليهم كل وقت . وأيضا إشارة إلى أنها دار أمن لايحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة : فقال الكوفيون : التقدير مفتحة لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والاضافة فيقولون

مررت برجل حسن العين : أي عينه . ومنه قوله تعالى (فإن الجحيم هي المأوى) أي مأواه
وقال بعض البصريين : التقدير مفتحة لهم الأبواب منها ، فحذف الضمير وما اتصل به .
قال وهذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء ؛ لان الهاء والالف اسم ، والالف واللام دخلتا للتعريف . ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه .

قالوا وأيضا لو كانت الالف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون في « مفتحة » ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هي ثم أبدل منها الابواب . ولو كان كذلك لوجب نصب الابواب ؛ لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلايجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد . فلما ارتفع الابواب دل على أن « مفتحة » خال من ضمير . والابواب مرتفعة به . وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول مررت برجل حسن الوجه، ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز . فالالف واللام إذاً للتعريف ليس إلا . فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن ، ولا ضمير في اللفظ فهو محذوف تقديره الابواب منها . وعندي أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فانهم لم يريدوا بالبدل الا أن الالف واللام خلف وعوض عن الضمير تغني عنه .

وإجماع العرب على قولهم « حسن الوجه » وحسن وجهه : شاهد بذلك
وقد قالوا إن التنوين بدل من الالف واللام بمعنى أنهما لايجتمعان . وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين . والتنوين بدل من الاضافة بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم : هذا بدل من هذا : أن معنى البدل معنى المبدل منه بل قد يكون في كل منهما معنى لايكون في الآخر . فالكوفيون أرادوا أن الالف واللام في الابواب أغنت عن الضمير لو قيل أبوابها . وهذا صحيح . فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بامر يجعلها له لامستقلة فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفي توهم الاستقلال . وكذلك لام التعريف فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه : هذا يعين مفسره وهذا يعين مادخل عليه . وقد قالوا في زيد نعم الرجل إن الالف واللام أغنت عن الضمير والله اعلم .

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعرابا اعترض عليه فيه فقال : جنات عدن - معرفة كقوله (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال ، والعامل فيها مافي المتقين من معنى الفعل . وفي مفتحة ضمير الجنات . والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل ؛

وهو من بدل الاشتمال . هذا إعرابه . فاعترض عليه بأن «جنات عدن» ليس فيها ما يقتضى تعريفها . وأما قوله (التى وعد الرحمن عباده) فبدل لا صفة . وبأن « جنات عدن » لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب ـ على قوله . لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به . فان القائل قائلان (أحدهما) أنه لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين (الثانى) أنه يكون فى المعارف والنكرات بشرط المطابقة كقول الكوفيين أبى على الفارسى وقوله أن فى « مفتحة » ضمير الجنات : فالظاهر خلافه وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه . وقوله أن الأبواب بدل اشتمال : فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير وإن نازعهم فيه آخرون . ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظا به وأن يكون مقدراً . وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أى الأبواب منها . فاذا كان التقدير مفتحة لهم هى الأبواب منها ، كان فيه تكثير للاضمار ، وتقليله أولى .

وفى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « فى الجنة ثمانية أبواب . باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » ، وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أنفق زوجين فى شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة . ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » فقال أبو بكر بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال نعم وأرجو أن تكون منهم » .

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال « ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » ، زاد الترمذى بعد التشهد : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » زاد أبو داود والإمام احمد ، ثم رفع نظره إلى السماء فقال :

وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل » ، وعن عتبة بن عبد الله السلمى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب

الجنة الثانية من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه وعبد الله بن احمد عن ابن نمير ثنا اسحاق ابن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة .

(الباب العاشر)
(فى ذكر سعة أبوابهـــا)

عن أبى هريرة قال « وضعت بين يدى رسول صلى الله عليه وسلم قصعه من ثريد ولحم، فتناول الذراع ـ وكان أحب الشاة إليه ـ فنهش نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة . ثم نهش أخرى وقال أنا سيد الناس يوم القيامة . فلما رأى أصحابه لايسألونه قال: ألا تقولون كيف قالوا كيف يارسول الله ؟ قال يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال فى آخره « فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، فيقمنى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدى . فأقول يارب أمتى أمتى فيقول يامحمد ادخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة » وفى لفظ « لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» متفق على صحته . وفى لفظ خارج الصحيح باسناده «إن ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر».

وعن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم (١) وولت حذاء (٢) ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يصطبها صاحبها وانكم منقلبون منها إلى دار لازوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم . ولقد ذكر لنا أن مصراعين (٣) من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ (٤) من الزحام .

فهذا موقوف والذى قبله مرفوع . فان كان رسول الله ﷺ هو الذاكر له كان هذا مابين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم. وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبى هريرة المتقدم . ولكن قد روى الإمام أحمد فى مسنده من طريق حماد بن سلمة قال سمعت الجريرى يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله . ومابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين

---

(١) بضم الصاد: القطيعة (٢) بتشديد الذال : مسرعة (٣) دفتى الباب (٤) ممتلىء .

عاماً ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ . وقد رواه ابن أبي دواد أنبأنا اسحاق بن شاهين أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه « مابين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين » ورويناه في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « ان ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة » وحديث أبي هريرة أصح . وهذه النسخة ضعيفة والله أعلم . وروى أبو الشيخ أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ قال « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثا . ثم انهم ليضطغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه أبو نعيم عنه . وهذا مطابق للحديث المتفق عليه . ان ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى .. فإن الراكب المجد غاية الاجادة على أسرع هجين لايفتر ليلا ولا نهارا يقطع هده المسافة في هذا القدر أو قريب منه .

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته لحماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاما . وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين . وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاما على طريقة دراج عن أبي الهيثم . قال الامام احمد : أحاديث دراج مناكير . وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي .

فالصحيح المرفوع السالم من الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته . على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف فيكون كحديث عتبة بن غزوان .

الباب الحادي عشر

﴿ في صفة أبوابها وأنها ذات خلق ﴾

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن (مفتحة لهم الأبواب) قال أبواب ترى . وذكر أيضا عن خليد عن قتادة قال أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها : انفتحي انغلقي .

وقال أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسي أنبأنا محمد بن اسحاق أنبأنا احمد بن أبي الحواري أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزاري قال . لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب: فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة . وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين

وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء ، وقد روى سهيل بن أبي صالح عن زياد النميرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر » وفي حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها » وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع . وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال « أخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى » ويذكر عن على رضى الله عنه من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر ،واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة.

(فصل) ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسـافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض ، ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال « باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثا ، ثم أنهم ليضغطون حتى تكاد مناكبهم تزول » وفيه من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى » الحديث ، وسيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى .

وقال خلف بن هشام البزار ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائى عن أبى اسحاق عن عاصم ابن حمزة عن على بن أبى طالب قال : إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان ، فيشربون من إحداهما فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمتة ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رءوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبداً . ثم قرأ (طبتم فادخلوها خالدين) فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ، ويلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول أنت رأيته فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء على سرير فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته فلولا أنه خلق له لا لتمتع بصره فيقول : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله والله أعلم .

الباب الثانى عشر

﴿ فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب ﴾

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكرى قالا أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حزام حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق . قال دلهم : وحدثنيه أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال : قلت يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال « لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما » وذكر الحديث بطوله وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب ، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين لقوله « ما منهن بابان » والله أعلم .

الباب الثالث عشر

(فى مكان الجنة وأين هى)

قال الله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء ، وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها . وما يصعد إليها فيقبض منها . وقال تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد : هو الجنة . وكذلك تلقاه الناس عنه .

وقد ذكر ابن المنذر فى تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال هو الجنة والنار . وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار فى أسفل السافلين ، ليست فى السماء . ومعنى هذا ما قاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه ، وقاله أبو صالح عن ابن عباس : الخير والشر كلاهما يأتى من السماء . وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله .

وقال الحارث بن أبى أسامة حدثنا عبد العزيز بن ابان حدثنا مهدى بن ميمون حدثنا محمد ابن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر بن شغاف قال سمعت عبد الله بن سلام يقول : إن أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ وأن الجنة فى السماء . رواه أبو نعيم عنه ، قال ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعا ، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعا . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ثنا

محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال : الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة . وجهنم فى الأرض السابعة ،

وقال ابن منده ثنا احمد بن إسحاق قال ثنا ابو احمد الزبيرى ثنا محمد بن عبدالله عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : الجنة فى السماء الرابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء . والنار فى الأرض السابعة ، فإذا كان يوم القيامه جعلها الله حيث يشاء . وقال مجاهد قلت لابن عباس اين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات . قلت فأين النار؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة . رواه ابن مندة عن احمد بن إسحاق عن الزبيرى عن إسرائيل عن ابن أبى يحيى عن مجاهد . وأما الأثر الذى رواه أبو بكر بن أبى شيبة ثنا عيسى بن يونس عن نوير بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال : الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر فى كل عام مرة . وأن أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره . ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس مايحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس فى كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات ، جعله الله تعالى مذكراً بتلك الجنة ، وآية دالة عليها كما جعل هذه النار مذكرة بتلك . وإلا فالجنة التى عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس ، وهى فوق الشمس وأكبر منها .

وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وهذا يدل على أنها فى غاية العلو والارتفاع والله أعلم .

والحديث له لفظان . هذا أحدهما . والثانى « ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله » وشيخنا يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك , ونظير هذا قوله فى الحديث الصحيح « أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » أى من جملة اسمائه هذا القدر ، فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضعين ، ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله فى درجة فى الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد . والجنة مقبية أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال ﷺ فى الحديث الصحيح « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » قال شيخنا أبو الحجاج المزى : والصواب روايه من رواه « وفوقه » بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أى وسقفه عرش الرحمن .

. . (فان قيل) فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها ، فان الكرسي وسع السموات والأرض ـ والعرش أكبر منه (قيل) لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفاً له دون ما تحته من الجنات . ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً ، درجـــة فوق درجة ، كما يقال لقارىء القرآن « اقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرأها » وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله أعلم .

الباب الرابع عشر

(فى مفتاح الجنة)

قال الحسن بن عرفه ثنا اسماعيل بن عياش عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر ابن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» رواه الإمام أحمد فى مسنده ولفظه « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » وذكر البخارى فى صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح .

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال: قال أعرابي يارسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال « لا إله إلا الله » وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال « أن السيوف مفاتيح الجنة » وفى المسند من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت بلى . قال لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ «مفتاح الصلاة الطهور» ومفتاح الحج الإحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد , ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح التقوى . ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ، ومفتاح الإجابة الدعاء ، ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا ، ومفتاح الايمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه . ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والاخلاص له فى الحب والبغض ، والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان فى عبادة الخالق والسعي فى نفع عبيده . ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل . ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة . ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه ، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه ، مفتاحاً للنار ، وكما جعل الخمر مفتاح لكل إثم ، وجعل الغنى مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصى مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأبذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر ، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له ، والله من وراء توفيقه وعدله . له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) .

الباب الخامس عشر

(فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها)

قال تعالى (كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون) فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوبا كتابة حقيقة ، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء ، وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان وأبو عوانة الأسفراينى فى صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وهو يلحد له . فقال أعوذ بالله من عذاب القبر — ثلاث مرات — ثم قال : إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط

وكفن ، فجلسوا منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبه أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان . قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض . قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها ـ يعنى على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون فلان بن فلان ـ بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ـ حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح لهم ، ويشيعه من كل سماء مقربوها ـ إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين . وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربى الله فيقولان له . مادينك ؟ فيقول دينى الإسلام . فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . قال فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره . قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير ؟ فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

قال . وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب . قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (١) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض . فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ، ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون فلان بن فلان ـ بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (لا تفتح لهم

(١) بفتح السين وتشديد الفاء : الحديدة التى يشوى بها اللحم

أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى وتطرح روحه طرحاً ثم قرأ رسول الله ﷺ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ، فيقول هاه هاه !!لا أدرى فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى ، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول له أبشر بالذى يسوءك،هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر ، فيقول أنا عملك الخبيث ، فيقول رب لاتقم الساعة ، ورواه أبو داود بطوله بنحوه — فهذا التوقيع والمنشور الأول .

(فصل) وأما المنشور الثانى فقال الطبرانى فى معجمه حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديرى عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال:قال رسول الله ﷺ « ولا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » وأخبرنا سليمان ابن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسى أنبأنا زاهر الثقفى أن عبد السلام بن محمد ابن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقى حدثنا محمد بن اسحاق بن منده أنبأنا محمد بن على البلخى حدثنا محمد بن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى أن النبى ﷺ قال ، يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية ، قلت وقع المؤمن فى قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه . ثم يكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ، فالله المستعان .

الباب السادس عشر

(فى توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد)

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم . وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ، ولهذا يوحد سبحانه سبيله ، ويجمع سبل النار كقوله تعالى

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر) أى ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل ألغى ، وقال (هذا صراط على مستقيم) وقال ابن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال، هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الآية .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) قيل هى سبل تجمع فى سبيل واحد ، وهى بمنزلة الجواد (١) والطرق فى الطريق الأعظم ، فهذه هى شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة هى إجابة الداعى إليها ليس إلا .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال « جاءت ملائكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا ، فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم أن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعى محمد ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس » رواه الترمذى عنه ولفظه « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى ، يقول « أحدهما لصاحبه أضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك ، وأعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه ، فالله هو الملك والدار الإسلام، والبيت الجنة ، وأنت يامحمد الرسول ؛ فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة ، أكل ما فيها » .

وصحح الترمذى من حديث عبد الله ابن مسعود قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف فأخذ بيدى حتى خرج بى إلى بطحاء مكة فأجلسنى ثم خط على خطا ثم قال لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أراد ، فبينا أنا جالس فى خطى إذ أتانى رجال كأنهم

---

(١) جمع جادة وهى معظم الطريق .

الزط (١) أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتهون إلى لا يجاوزون الخط ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان آخر الليل ، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس فقال لقد رآني منذ الليلة ، ثم دخل على فى خطى فتوسد فخذى فرقد ، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتهوا إلى فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا ما رأينا عبدا قد أوتى مثل هذا النبى ، أن عينيه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له مثلا مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه - أو قال عذبه - ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال سمعت ما قال هؤلاء وهل تدرى من هم ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال هم الملائكة فتدرى ما المثل الذى ضربوه ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال : الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه .

الباب السابع عشر

(فى درجات الجنة)

قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة . وكلا وعد الله الحسنى . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما) ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه) قال هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاما .

وقال ابن المبارك أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى (لهم درجات عند ربهم) قال بعضهم أفضل من بعض فيرى الذى قد فضل به فضله ، ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولا بدرجة ثم أوقعه ثانياً بدرجات . فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد ، والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد .

وقال تعالى (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله

---

(١) بالضم جيل من الناس وهم جنس من السودان والهنود

وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولفظ البخارى « فى الأفق » وهو أبين . والغابر هو الذاهب الماضى الذى قد تدلى للغروب وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلا فائدتان (إحداهما) بعده عن العيون (والثانية) أن الجنة درجات بعضها أعلا من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة كما ترون الكوكب فى أفق السماء » وقال الإمام أحمد حدثنا فرات أخبرنى فليح عن هلال ـ يعنى ابن على ـ عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون ـ أو ترون ـ الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات قالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى ، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ورجال هذا الاسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه ، وفى هذا الحديث (الغارب) وفى حديث أبي سعيد الخدرى (الغابر) وقوله الطالع صفة للكوكب وصفة بكونه غاربا وبكونه طالعاً ، وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن على عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما ترى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الأفق فى تفاضل الدرجات ، قالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى ، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وهذا على شرط البخارى أيضا .

وفى المسند من حديث أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ؛ فيقال من هؤلاء ؟ فيقال هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » وفى المسند من حديث أبي سعيد الخدرى أيضاً عن النبي ﷺ « إن فى الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم » .

وفى المسند عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه » وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على مائة درجة.

وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلا الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة ، درجة دونها ، ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ومن صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان وكان حقا على الله أن يغفر له ، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه » قلت يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال « لا . ذر الناس يعملون ، إن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض . وأعلا درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس » رواه الترمذي هكذا بلفظه . وروى أيضاً من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة مائة درجة » ثم ذكر نحو حديث معاذ .

وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام » قال هذا حديث حسن غريب. وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم » ورواه أحمد بدون لفظه (في) كما تقدم ، وقد رويت هذه الأحاديث بلفظه في وبدونها ، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها ، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير في السرعة والبطء ، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانيء التجيبي سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض أو بعد ما بين السماء والأرض قلت يارسول الله لمن ؟ قال للمجاهدين في سبيل الله .

باب الثامن عشر

(في ذكر أعلا درجاتها واسم تلك الدرجة)

[illegible] في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا سمعتم

المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى » وقال احمد أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « إذا صليتم فسلوا الله لى الوسيلة ، قيل يارسول الله وما الوسيلة ؟ قال أعلا درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجوا أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن إسم كان المستتر فيها ، ولا يكون أنا فصلا ولا توكيداً بل مبتدأ .

وفى الصحيحين من حديث جابر قال: قال رسول الله (ص) « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، إلى حلت له الشفاعة يوم القيامة » هكذا لفظ الحديث (مقاما) بالتنكير ليوافق لفظ الآية ، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف . وهذا ألطف من جعل (الذى وعدته) بدلا فتأمله

وفى المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ص) « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لى الوسيلة وذكره ابن أبى الدنيا وقال فيه « درجة فى الجنه ليس فى الجنة درجة أعلا منها فسلوا الله أن يؤتنيها على رءوس الخلائق ».

وقال أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال حدثنا عبدالله بن عمران العابدى حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت « جاء رجل إلى النبى (ص) فقال يارسول الله والله إنك لأحب إلى من نفسى وإنك لأحب إلى من أهلى ، وأحب إلى من ولدى ، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذ ذكرت موتى وموتك عرفت إنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وانى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى (ص) حتى نزل جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً .

وسميت درجة النبى (ص) الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن . وهى أقرب الدرجات إلى الله . وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهى فعيلة من وسل إليه إذا تقرب

إليه . قال لبيد « بلى كل ذى رأى إلى الله واسل » .

ومعنى الوسيلة من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً. وقال صالح ابن عبد الكريم قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها . وقال الحكم بن أبان عن عكرمه عن ابن عباس : نور سقف مساكنكم نور عرشه .

وقال بكر عن أشعث عن الحسن : إنما سميت عدن لأن فوقها العرش ومنها تفجر أنهار الجنة . وللحور العدنية الفضل على سائر الحور . والقربى والزلفى واحد . وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل ، وقال الكلبى : اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة .

وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير للوسيلة التى يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون فى القرب منه .

ولما كان رسول الله (ص) أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة ، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهى أعلا درجة فى الجنة، وأمر النبي (ص) أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .

وأيضا فان الله سبحانه قدرها له بأسباب (منها) دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه . وقوله « حلت عليه » يروى «عليه» و «له» فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ومن رواه بـ «على» فمعناه وقعت عليه شفاعتى والله اعلم .

(الباب التاسع عشر)

(فى عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمنها الذى طلبه منهم)
وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) فجعل سبحانه هنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين واموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد واكده بأنواع من التأكيد (احدها) إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة ان (الثانى) الإخبار بذلك بصيغة الماضى الذى قد وقع وثبت واستقر (الثالث) إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه ، وانه هو الذى اشترى هذا المبيع (الرابع) انه اخبر بأنه وعد بتسليم

هذا الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه (الخامس) أنه أتى بصيغة « على » التى للوجوب إعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه (السادس) أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه (السابع) أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والانجيل والقرآن (الثامن) إعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه (التاسع) أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ، ولا يعرض له ما يفسخه (العاشر) أنه أخبرهم إخباراً مؤكدا بأن ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم . والبيع ههنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله (بايعتم به) أى عاوضتم وثامنتم به

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذى وقع العقـــد وتم لهم دون غيرهم وهم (التائبون) مما يكره (العابدون) له بما يحب (الحامدون) له على ما يحبون وما يكرهون (السائحون) وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر فى طلب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة . والتحقيق فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والإنابة اليه والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال ، ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبى ﷺ اللاتى لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً فى طلب علم ولا إدامة صيام ، وإنما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله تعالى وخشيته والانابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين : هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب والحمد والسياحة قرينتين : هذا الثناء عليه بأوصاف كماله ، وسياحة اللسان فى أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله . كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينين فى صفة الأزواج . فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب ، وجعل الاسلام والايمان قرينين : فهذا علانية وهذا فى القلب ، كما فى المسند عنه « ص » « الاسلام علانية والايمان فى القلب » وجعل القنوت والتوبة قرينين : هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره . وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين : فهذه قد وطئت وارتاضت ذللت صعوبتها . وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد وجعل الركوع والسجود قرينين وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين وأدخل بينهم الواو دون ما تقدم إعلاماً بان أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر . وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده : فهذا حفظها فى نفس الانسان ، وذلك أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية خطر النفس الانسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو ، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو ، وانظر إلى من جرى على يده عقد

التبايع . فالسلعة النفس ، والله سبحانه المشترى لها ، والثمن لها جنات النعيم . والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه ، وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه .

قد هيـــؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ومن أدلج (١) بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية . ألا إن سلعة الله الجنة » قال هذا حديث حسن غريب . وفى كتاب صفة الجنة لأبى نعيم من حديث أبان عن أنس قال « جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال ما ثمن الجنة ؟ قال « لا إله إلا الله » وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن اعرابيا جاء إلى رسول الله «ص» فقال يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة. فقال « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ؛ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصـــوم رمضان » قال والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئا أبداً ولا أنقص منه . فلما ولى قال « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » .

وفى صحيح مسلم عن جابر قال : أتى النعمان بن قوقل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة ؟ فقال النبى نعم .

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال . قال رسول الله (ص) « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » وفى سنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول « من كان آخر كلامه لا إله الا الله دخل الجنة »

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « أتانى آت من ربى فأخبرنى ــ أو قال فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ص) « من قال أشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . وإن الجنة حق وان النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء » وفى لفظ « أدخله الله الجنة على ماكان من عمل » وفى صحيح مسلم أن رسول الله (ص) أعطى أبا هريرة نعليه فقال اذهب بنعلى هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة »

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال « ثمن الجنة لا إله الا الله » وروى أبو نعيم من حديث أبى الزبير عن جابر قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لا يدخل أحداً

(١) أى سار الليل كله. والمراد هنا أن من خاف الله تعالى اجتهد فى طاعته وسهر فى مرضاته .

منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى » وإسناده على شرط مسلم وأصل الحديث فى الصحيح .

(فصل) وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى ، وليس عمل العبد مستقلا بدخولها وإن كان سبباً ، ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال فى قوله (بما كنتم تعملون) ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » . ولا تنافى بين الأمرين لوجهين (أحدهما) ما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله . ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على هذا حديث أبى هريرة الذى سيأتى إن شاء الله تعالى « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم » ، رواه الترمذى (والثانى) أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر ، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلا بحصوله ، وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين بقوله « سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » ، ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان .

(الباب العشرون)

(فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل) قال الله تعالى حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة ، وقالت طائفة : معناه وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمـــان أن آمنوا بربكم فآمنـا) وهذا صريح فى الإيمان بالرسول والمرسل ، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل وذلك أيضا يتضمن التصديق بهم وإنهم بلغوهم وعده فصدقوا به وسألوه أن يؤتيهم إياه ، وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية .

وقيل المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل ، والأول أعم وأكمل .

وتأمل كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه ، وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولابد ، وأجاب بأن هذا تعبد محض كقوله « رب احكم بالحق » وقول الملائكة « فاغفر الذين تابوا واتبعوا سبيلك » وخفى على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها لرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم ، كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به ، وأن لا يلحقه ما يحبطه ، فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التى ينجز لهم ما وعده فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية ، وأما قوله رب احكم فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الأسباب التى يوجب بها لهم المغفرة فهو سبحانه نصب الأسباب التى يفعل بهـــا ما يريده بأوليائه وأعدائه وجعلها أسبابا لإرادته كما جعلها أسبابا لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب ، وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الأسباب التى توجب محبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التى خلقها وشاءها ، فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون ، بالله ، ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به قوله تعالى . « قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسئولا » يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها . والملائكة تسألها لهم ، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين .

وفى هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسئل ويطلب منه ويرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله ؛ وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه ؛ وهو يغضب إذا لم يسئل .

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب.

وأحب خلقه إليه أكثرهم وافضلهم له سؤالا ، وهو يحب الملحين فى الدعاء ، وكلما ألح العبد عليه فى السؤال أحبه وقربه وأعطاه . وفى الحديث « من لم يسأل الله يغضب عليه». فلا إله إلا هو ، أى جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله !!! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

قال أبو نعيم الفضل حدثنا يونس هو ابن أبى اسحاق حدثنا يزيد بن أبى مرثد قال : قال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثا إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار اللهم أجره من النار » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن يزيد به .

وقال الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حيان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ماسأل الله عبد الجنة فى يوم سبع مرات إلا قالت الجنة يارب إن عبدك فلاناً يسألنى فأدخلنيه :

وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار إن عبدك فلاناً استجار منى فأجره ، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يارب إن عبدك فلاناً سألنى فأدخله الجنة » وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود فى مسنده حدثنا شعبة حدثنى يونس بن حبان سمع أبا علقمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ص) « من قال أسأل الله الجنة سبعاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ».

وقال الحسن بن سفيان المقدمى حدثنا عمر بن على عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ص) « أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر مسئلة الله الجنة قالت الجنة يارب عبدك هذا الذى سألنيك فأسكنه إياى . وتقول النار يارب عبدك هذا الذى استعاذ بك منى فأعذه».

وقد كان جماعة من السلف لا يسئلون الله الجنة ويقولون حسبنا أن يجيرنا من النار . فنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم ، صلى ليلة إلى السحر ثم رفع يديه وقال اللهم أجرنى من النار أو مثلى يجترىء أن يسئلك الجنة، ومنهم عطاء السلمى كان لا يسأل الجنة. فقال له صالح المرى ان ابان حدثنى عن أنس أن النبى (ص) قال يقول الله عز وجل انظروا فى ديوان عبدى ، فمن

رأيتموه سألني الجنة أعطيته ومن استعاذ بي من النار أعذته . فقال عطاء : كفاني أن يجيرني من النار . ذكرها أبو نعيم . وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للفتى : يعني الذي شكاه «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت ؟ قال اقرأ بفاتحة الكتاب واسئل الله الجنة ، وأعوذ به من النار : وأني لا أدري ماد ندنتك ودندنة معاذ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني ومعاذاً حولها ندندن».

وفي سنن أبي داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يسئل بوجه الله إلا الجنة» رواه عن احمد بن عمرو العصفري حدثنا يعقوب بن اسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره .

وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عبد الملك بن أبي بشير برفع الحديث «مامن يوم إلا والجنة والنار يسألان : تقول الجنة : يارب قد طابت ثماري واطردت أنهاري واشتقت إلى أوليائي . فعجل إلى بأهلي» الحديث . فالجنة تطلب أهلها باللذات وتجذبهم إليها جذباً ، والنار كذلك . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما كما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا إسحق بن أبي اسرائيل حدثنا أيوب بن أبي شيب الصنعاني قال : كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثني عبدالله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتنسوا العظيمتين «قلنا وما العظيمتان يارسول الله ؟ قال الجنة والنار .

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم ، فان الجنة لاينام طالبها وإن النار لاينام هاربها ، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره . وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة .

الباب الحادي والعشرون

(في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه . وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه . وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار)

الاسم الأول (الجنة) وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من انواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين . وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية

ومنه الجنين لاستتاره فى البطن ، والجان لاستتاره عن العيون ، والمجن لستره ووقايته الوجه. والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه . والجان وهى الحية الصغيرة الرقيقة.ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت وأسكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك ، ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه . ولا يستحق هذا الإسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع.والجنة بالضم مايستجن به من ترس أو غيره . ومنه قوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة)أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم . ومنه الجنة بالكسر الجن كما قال تعالى « من الجنة والناس »

وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة ، واحتجوا بقوله تعالى«وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » قالوا وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله . وردوا هذا القول بوجهين « أحدهما » أن النسب الذي جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه « الثانى » قوله تعالى « ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون » أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ماذهب إليه هؤلاء ، وأن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى « من الجنة والناس » وعلى هذا فى الآية قولان « أحدهما » قول مجاهد قال : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ قالوا: سروات الجن . وقال الكلبي قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة قالوا صاهر الجن (والقول الثانى) هو قول الحسن قال : أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه .

والصحيح قول مجاهد وغيره . وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم.فانهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبا بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولدا بينه وبين الجن . وأما قوله « وقد علمت الجنة أنهم لمحضرون » فالضمير يرجع إلى الجنة ، أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب ، قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة . وهذا التقدير فى الاية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الأول . فتأمله ، والمقصود ذكر أسماء الجنة .

(فصل)« الإسم الثانى دار السلام » وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله (لهم دار السلام عند ربهم) وقوله « والله يدعو إلى دار السلام » وهى أحق بهذا الإسم فانها دار السلامة من كل

بلية وآفة ومكروه . وهى دار الله ، واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها (وتحيتهم فيها سلام) (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم) والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى (ولهم فيها فاكهة ولهم مايدعون ، سلام قولا من رب رحيم) وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام أى لالغو فيها ولا فحش ولا باطل كما قال تعالى (لايسمعون فيها لغوا إلا سلاما)

وأما قوله تعالى « وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه . وقالوا أقوالا لايخفى بعدها عن المقصود ، وإنما معنى الآية ـ والله أعلم ـ فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أى فسلامه لك كائنا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وعذابها . فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله أبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة .

(فصل) « الإسم الثالث دار الخلد » وسميت بذلك لأن أهلها لايظعنون عنها أبداً كما قال تعالى (عطاء غير مجذوذ) وقال (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقال أكلها دائم وظلها) وقال (وما هم منها بمخرجين) وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى .

(فصل) « الإسم الرابع دار المقامة » قال تعالى حكاية عن أهلها (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذى أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب) قال مقاتل أنزلنا دار الخلود أقاموا فيها أبدا لايموتون ولا يتحولون منها أبداً .
قال الفراء والزجاج : المقامة مثل الإقامة . يقال أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاما .

﴿فصل﴾ الإسم الخامس جنة المأوى . قال تعالى (عندها جنة المأوى) والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به . وقال عطاء عن ابن عباس : هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة ، وقال مقاتل والكلبى هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء . وقال كعب . جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء ، وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش : هى جنة من الجنان ، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) وقال فى النار (فإن الجحيم هى المأوى) وقال ومأواكم النار .

﴿ فصل ﴾ الإسم السادس جنات عدن . فقيل هى اسم لجنة من الجنان والصحيح أنه

اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن ، قال تعالى (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب) وقال تعالى (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير) وقال تعالى (ومساكن طيبة فى جنات عدن) والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام . يقال عدن بالمكان إذا أقام به . وعدنت البلد توطنته ؛ وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه . قال الجوهرى : ومنه جنات عدن أى إقامة . ومنه سمى المعدن بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء . ومركز كل شىء معدنه والعادن الناقة المقيمة فى المرعى .

(فصل) الاسم السابع « دار الحيوان » قال تعالى (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) والمراد الجنة عند أهل التفسير . قالوا وان الآخرة يعنى الجنة « لهى الحيوان » لهى دار الحياة التى لاموت فيها . فقال الكلبى هى حياة لا موت فيها . وقال الزجاج هى دار الحياة الدائمة . وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة ، قال أبو عبيدة وابن قتيبة : الحياة الحيوان .

قال أبو عبيد: الحياة والحيوان والحى بكسر الحاء واحد . قال أبو على يعنى أنها مصادر ، فالحياة فعلة كالجلبة . والحيوان كالنزوان والغليان . والحى كالعمى . قال العجاج :

« كنا بها إذا الحياة حى »   أى إذا الحياة حياة

وأما أبوزيد فخالفهم وقال : الحيوان ما فيه روح . والموتان والموات ما لا روح فيه .

والصواب أن الحيوان يقع على ضربين « أحدهما » مصدر كما حكاه أبو عبيدة « والثانى » وصف كما حكاه أبو زيد وعلى قول أبى زيد الحيوان مثل الحى خلاف الميت . ورجح القول الأول بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات فإن بابها فعلان كسكران وغضبان . وأجاب من رجح القول الثانى بأن فعلان قد جاء فى الصفات أيضاً قالوا رجل صميان للسريع الخفيف وزفيان : قال فى الصحاح ناقة زفيان سريعة ، وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم فيحتمل قوله تعالى (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) معنيين (أحدهما) إن حياة الآخرة هى الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها ، أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدراً على هذا (الثانى أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا ، فهى أحق بهذا الإسم من الحيوان الذى يفنى ويموت .

﴿فصل﴾ « الإسم الثامن » الفردوس . قال تعالى (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

الفردوس نزلا خالدين فيها) والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها كأنه أحق بهذا الإسم من غيره من الجنات . وأصل الفردوس البستان ،والفراديس البساتين قال كعب هو البستان الذى فيه الأعناب . وقال الليث : الفردوس جنة ذات كروم . يقال كرم مفردس أى معرش . وقال الضحاك هى الجنة الملتفة بالأشجار ، وهو اختيار المبرد . وقال : الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب ، وجمعه الفراديس . قال ولهذا سمى باب الفراديس بالشام وأنشد لجرير :

فقلت للركب إذ جد المسير بنا ... يا بعد بيرين من باب الفراديس

وقال مجاهد : هذا البستان بالرومية ، واختاره الزجاج فقال هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية . قال وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين . قال حسان :

وإن ثواب الله كل مخلد ... جنان من الفردوس فيها يخلد

﴿فصل﴾ الاسم التاسع جنات النعيم . قال تعالى (إن الدين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) وهذا ايضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

(فصل) الاسم العاشر المقام الأمين . قال تعالى (إن المتقين فى مقام أمين) والمقام موضع الإقامة ، والأمين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه ، وهو الذى قد جمع صفات الأ كلها ، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص ، وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد (والبلد الأمين) الذى قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم .

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن فى قوله تعالى (إن المتقين فى مقام أمين) وفى قوله تعالى (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا .

(فصل) (الاسم الحادى عشر والثانى عشر) مقعد الصدق وقدم الصدق . قال تعالى (ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق) فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال مودة صادقه إذا كانت ثابتة تامة . وحلاوة صادقة وحملة صادقة . ومنه الكلام الصدق لحصول مقصودة منه . وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ، ومنه الصدق فى الحديث . والصدق فى العمل . والصديق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق

بالفتح الصلب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع إنه لذو مصدق أي صادق الحملة ، وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه . ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة . ومنه : صدقني القتال وصدقني المودة . ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق . وذلك كله للحق الثابت المقصود الذي يرغب فيه ، بخلاف الكذب الباطل الذي لاشيء تحته ، وهو لا يتضمن أمراً ثابتا قط .

وفسر قوم قدم صدق بالجنة ، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله ، وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك . والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أي بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله وادخر لهم جزاءها يوم القيامة . ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق . وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع ، وأنه ثناء بحق لا بباطل . ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله . وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد ، فإنه لا يزال داخلا من أمر وخارجا من أمر ، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق والله المستعان .

الباب الثاني والعشرون

(في عدد الجنات وأنها نوعان جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الجنة إسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جدا كما روى البخاري في صحيحة عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء ، وهي أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ فقالت يانبي الله ألا تحدثني عن حارثه ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه منهم غرب(١) فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ».

وفي الصحيحين من حديث أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال « جنتان

(١) أي جاءه من حيث لا يدري .

من ذهب آنيتها وحليتهما وما فيهما . وجنتـــان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما . وما بين القوم و بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، وقد قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فذكرهما ثم قال (ومن دونهما جنتان) فهذه أربع

وقد اختلف فى قوله (ومن دونهما) هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما ؟ على قولين فقالت طائفة من دونهما أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما ، وقالت طائفة بل معنى من دونهما تحتهما . قالوا وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا هذا دون هذا ، أى دونه فى المنزلة كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه : أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك . وفى الصحاح (دون) نقيض (فوق) وهو تقصير عن الغاية . ثم قال : ويقال هذا دون هذا أى أقرب منه ، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه .

(أحدها) قوله (ذواتا أفنان) وفيه قولان (أحدهما) أنه جمع فنن وهو الغصن (والثانى) أنه جمع فن وهو الصنف أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها . ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدها (الثانى) قوله (فيهما عينان تجريان) وفى الأخريين (فيهما عينان نضاختان) والنضاخة هى الفوارة . والجارية السارحة وهى أحسن من الفوارة ، فإنها تتضمن الفوران والجريان (الثالث) أنه قال (فيهما من كل فاكهة زوجان) وفى الأخريين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل . واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان : فقالت طائفة : الزوجان الرطب ، واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب ، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظرا لا يخفى ، وقالت طائفة : الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب ، وقالت طائفة : نوعان ؛ ولم تزد ، والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهر وألذ للعين والفم .

(الرابع) أنه قال (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها . وفى الأخريين قال (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) وفسر الرفرف بالمحابس والبسط . وفسر بالعرش وفسر بالمحابس فوقها ، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين ،

(الخامس) أنه قال (وجنى الجنتين دان) أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ، ولم يذكر ذلك فى الآخريين (السادس) أنه قال (فيهن قاصرات الطرف) أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم . وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وقال فى الآخريين (حور مقصورات فى الخيام) ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها (السابع) أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها (الثامن) أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الأوليين (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وهذا يقتضى أن أصحابها من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل (التاسع) أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءاً لمن خاف مقامه . وهذا يدل على أنهما أعلا جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه .

ولما كان الخائفون على نوعين : مقربين وأصحاب يمين . ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين (العاشر) أنه قال (ومن دونهما جنتان) والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى .

فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما . فإن قيل : فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان . قيل هذا فيه قولان للمفسرين . ورجح القول الثانى بوجهين (أحدهما من جهة النقل والثانى من جهة المعنى . فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال « هما بستانان فى رياض الجنة » .

وأما الذى من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر والثانية جزاء اجتناب المحارم (فإن قيل) فكيف قال فى ذكر النساء « فيهن » فى الموضعين ، ولما ذكر غيرهن قال (فيهما) قيل لما ذكر الفرش قال بعدها (فيهن خيرات حسان) ثم أعاده فى الجنتين الآخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى . والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون

(فى خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان)

وقد اتخذ الرب تبارك وتعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده فهى سيدة الجنان ، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ، ومن البشر محمداً ﷺ ، ومن السموات العليا ، ومن البلاد مكة ومن الأشهر المحرم ، ومن الليالى ليلة القدر ، ومن الأيام يوم الجمعة ، ومن الليل وسطه ، ومن الأوقات أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى (يخلق ما يشاء ويختار) .

وقال الطبرانى فى معجمه ثنا مطلب بن شعيب الأزدى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث . قال الطبرانى فى معجمه وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا يحى بن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ « ينزل الله تعالى فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فينظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينظر فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه ، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها ما لم تره عين أحد ولا خطر على قلب بشر . ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرنى فأغفر له ؟ ألا سائل يسألنى فأعطيه . ألا داع يدعونى فأستجيب له . حتى يطلع الفجر » قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) فيشهده الله تعالى وملائكته .

قال الحسن بن سفيان حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال حدثنى خالى عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم حدثنا يحى بن أيوب عن داود بن أبى هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر » وقد ذكر الدارمى والنجار وغيرهما من حديث أبى معشر نجيح بن عبد الرحمن ـ متكلم فيه ـ عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ « خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى وجلالى

لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث ، قالوا يارسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال الذى يقر السوء فى أهله ، (قلت) المحفوظ أنه موقوف .

قال الدارمى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال :قال عبيد الله بن عمر : خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام . ثم قال لسائر الخلق كن فكان . وحدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال : أن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ، حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال . لم يخلق الله بيده غير ثلاث : خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمى قالت (قد أفلح المؤمنون) وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا يعقوب القمى حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال : خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادى طيباً لأوليائى ، ازدادى حسنا لأوليائى .

وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال : إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهى تفتح فى كل سحر فينظر الله إليها فتقول قد أفلح المؤمنون ، وذكر البيهقى من حديث البغوى حدثنا يونس بن عبيد الله البصرى حدثنا عدى بن الفضل عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال :قال رسول الله ﷺ : إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرس غرسها بيده وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ، فقال طوبى لك منزل الملوك » .

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن أبى المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبى حدثنا بشير بن حسين عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال :قال رسول الله ﷺ خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ، بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها أنطق ، قالت قد أفلح المؤمنون ، فقال الله عز وجل : وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل ثم تلا رسول الله ﷺ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون .

وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناءاً وتشريفا وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره وبالله التوفيق ، فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن سعيد عن النبى ﷺ قال : سأل موسى عليه السلام ربه . ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة ، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب ، فيقول له لك ذلك مثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة رضيت رب . ، . قال رب فأعلاهم منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصداقه من كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) .

(الباب الرابع والعشرون)

(فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم)

قال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤتمن على الشىء الذى قد استحفظه ، وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه « من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة ، كل خزنة باب أى فلم ، قال أبو بكر يارسول الله ذاك الذى لاتوى (١) عليه فقال النبى ﷺ إنى لأرجو أن تكون منهم ، وفى لفظ « هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم » لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله (ص) هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى فى

١) بفتح التاء لا ضياع ولا خسارة

العمل الذى ينال به ذلك ، فأخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله ، وكأنه قال هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها .

فالله ما أعلى هذه المهمة وأكبر هذه النفس ! .

قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة (رضوان) وهو اسم مشتق من الرضا ، وسمى خازن النار مالكا وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه

(الباب الخامس والعشرون)

(فى ذكر أول من يقرع باب الجنة)

وقد تقدم حديث أنس ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال « فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك » وذلك أن قيامه إليه (ص) خاصة إظهاراً لمزيته ورتبته ، ولا أقوم فى خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته ، وهو كالملك عليهم . وقد أقامه الله فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب . وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى (ص) أنه قال « أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت ، فتقول أنا امرأة قعدت على يتامى » .

وفى الترمذى من حديث ابن عباس قال « جلس ناس من أصحاب النبى (ص) ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ، فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا أن الله من خلقه خليلا ، أتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليما ، وقال آخر فعيسى ، كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ؛ وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ؛ وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لى فأدخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا

خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا . وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون ، رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله (ص) « أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

(الباب السادس والعشرون)

(في ذكر أول الأمم دخولا الجنة)

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) نحن السابقون الأولون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر ، فمعنى « بيد » معنى سوى وغير وإلا ونحوها .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) نحن الآخرون الأولون يوم القيامة . ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه .

وفي الصحيحين من حديث طاوس عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله (ص) قال « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها . وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال الدارقطني غريب عن الزهري ، ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ، ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة عن زهير.

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض ، وأسبقهم إلى أعلا مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم . وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد (ص) ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته .

وأما أول الأمة دخولا فقال أبو داود فى سننه حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن ابن محمد المحاربى عن عبد السلام بن حرب عن أبى خالد الدالانى عن أبى خالد مولى آل جعده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى، فقال أبو بكر: يارسول الله وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى.

وقوله «وددت أنى كنت معك» حرصا منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عيانا كما قال ابراهيم الخليل (رب أرنى كيف تحيي الموتى، قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وأما الحديث الذى رواه ابن ماجه فى سننه حدثنا اسماعيل بن عمر الطلحى أنبأنا داود بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة» فهو حديث منكر جدا، قال الإمام أحمد: داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث.

الباب السابع والعشرون

(فى ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم)

فى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لايبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن» لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا».

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون. أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على

صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء . وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء . وقال الإمام أحمد حدثنا اسماعيل ابن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة قال .قال رسول الله ﷺ « عرض على أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار . فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال . وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله من ماله ، وفقير فخور .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه واللفظ له من حديث أبى عشابة المعافرى أنه سمع عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، يموت أحدهم وحاجته فى صدره ، لا يستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا . فيقول : عبادى لا يشركون بى شيئا تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء . فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

ولما ذكر الله تعالى أصناف بنى آدم سعيدهم وشقيهم ، قسم سعيدهم إلى قسمين : سابقين وأصحاب يمين فقال (والسابقون السابقون) واختلف فى تقريرها على ثلاثة أقوال : أحدها أنه من باب التوكيد اللفظى ويكون الخبر قوله (أولئك المقربون) « والثانى » أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثانى خبر له على حد قولك زيد زيد أى زيد الذى سمعت به هو زيد كما قال « أنا أبو النجم وشعرى شعرى » وكقول الآخر : إذ الناس ناس والزمان زمان قال ابن عطية وهذا قول سيبويه (والثالث) أن يكون الأول غير الثانى ويكون المعنى : السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات . والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان . وهذا أظهر والله أعلم .

فإن قيل : فما تقول فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه من حديث

بريدة بن الحصيب قال : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة ، فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى ، ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامى ، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب ، فقلت لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من أمة محمد ، قلت أنا محمد ، لمن هذا القصر . قالوا لعمر بن الخطاب ، فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله على ركعتين . فقال رسول الله ﷺ « فبذلك » .

قيل : نتلقاه بالقبول والتصديق ، ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله (ص) إلى الجنة . وأما تقدم بلال بين يدى رسول الله (ص) فى الجنة فلأن بلالا كان يدعوا إلى الله أولا بالأذان فيتقدم أذانه بين يدى النبى (ص) فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم ، وقد روى فى حديث أن النبى (ص) يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان ، فتقدمه بين يديه (ص) كرامة لرسوله وإظهاراً لشرفه وفضله ، لا سبقاً من بلال له ، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه والله أعلم

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾

﴿ فى سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » وقال الترمذى . هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم فى صحيحه . وروى الترمذى من حديث ابن عباس الدورى عن المقبرى عن سعيد بن أبى أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمى عن جابر بن عبد الله عن النبى (ص) أنه قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا . وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبى (ص) « التقى مؤمنان على باب الجنة : مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا فى الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ماشاء الله ان يحبس ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال أى أخى ما حبسك . والله لقد

احتبست حتى خفت عليك ، فيقول أى أخى إنى حبست بعدك محبساً فظيعاً كريها ، ما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه .

وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن عبد الله الرازى قالا حدثنا على ابن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » وذكر الحديث بطوله ، والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفا ، فإما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون هو كلاهما محفوظا ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بأربعين ، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم والله أعلم .

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره فى الدخول . والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفا ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم . والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلا درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فالمزية مزيتان : مزية سبق ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ، ولاخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

الباب التاسع والعشرون

﴿ فى ذكر أوصاف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم ﴾

قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم

ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم . ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للاحسان فى حالة العسر واليسر ، والشدة والرخاء ، فان من الناس من يبذل فى حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل فى حال العسر والشدة ثم ذكر كف اذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس الانتقام بالعفو . ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله ، وذاك حالهم مع خلقه ، وقال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم) فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها .

وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً وبأداء حق عباده . وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . لما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة . ثم قال رسول الله (ص) ويا ابن الخطاب اذهب فنادى فى الناس إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون قال فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون والبخارى معناه .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادى فى الناس إنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة . وفى بعض طرقه مؤمنة . وفى الحديث قصة .

وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى ان رسول الله (ص) قال ذات يوم فى خطبته « ألا إن ربى أمرنى ان أعلمكم ماجهلتم مما علمنى من يومى هذا . كل مال نحلته عبداً حلال . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ماأحللت لهم . وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا . وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك وانزلت عليك كتاباً لايغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان . وأن الله أمرنى أن أحرق قريشا فقلت رب

إذاً يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة . قال استخرجهم كما أخرجوك وأغزهم نغزك . وانفق فسينفق عليك ، وأبعث جيشاً نبعث خمسة مثله . وقاتل بمن أطاعك من عصاك . قال : و أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم . وعفيف متعفف ذو عيال . وأهل النار خمسة . الضعيف الذى لازبر (١) له . الذين هم فيكم تبعاً لا يبغون فيكم أهلا ولا مالا . والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش وان الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » .

وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال سمعت النبى ﷺ يقول « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر ، وقال الإمام احمد حدثنا على بن اسحاق قال انبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن على بن رباح قال سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » .

وذكر خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة . النبى فى الجنة والصديق فى الجنة والشهيد فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة . ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود التى إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها ثم تقول لا أذوق غمضاً حتى ترضى » أخرج النسائى من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه .

وروى الإمام احمد فى مسنده باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى (ص) قال « إن أهل النار كل جعظرى جواظ متكبر جماع مناع . وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » .

وقال ابن ماجه فى سننه حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخرم قالا أنبأنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أبو هلال الراسبى حدثنا عقبة بن ابى ثبيت الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع » .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال مر بجنازة فأثنى عليها خير فقال نبى الله « وجبت وجبت وجبت . ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقال وجبت وجبت وجبت . فقال عمر فداك أبى وأمى ، مر بجنازة فأثنى عليها خير فقلت وجبت وجبت وجبت . ومر بجنازة فأثنى عليها

---

(١) أى لا همة له فهو يحب أن يعيش تابعاً لا متبوعا ، ذيلا لا رأساً ، والإسلام دين العزة .

شر فقلت وجبت وجبت وجبت ؟ فقال رسول الله (ص) « من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شراً وجبت له النار وأنتم شهداء الله فى الأرض » وفى الحديث الآخر « يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال بالثناء الحسن وبالثناء السىء » وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى قوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فنسأل الله ان الله يجعلنا منهم بمنه وكرمه .

(الباب الثلاثون)

(فى أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ)

فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (ص) « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكبرنا ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض » هذا لفظ مسلم ، وعند البخارى ، وكشعرة سوداء فى ثور أبيض — بغير ألف .

وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله (ص) « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفا » رواه الإمام أحمد والترمذى وإسناده على شرط الصحيح رواه الطبرانى فى معجمه من حديث عبد الله بن عباس ، وفى إسناده خالد بن يزيد البجلى وقد تكلم فيه . ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا الله ورسوله اعلم . قال كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا ذاك أكثر . قال كيف والشطر لكم قالوا ذاك أكثر فقال رسول الله « أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا » قال الطبرانى لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن ، إلا الحرث بن خضيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى عمرو . عن أبيه عن أبى هريرة : لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله ﷺ : أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة قال الطبرانى تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى . وقال خيثمة بن سليمان القرشى حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفى

حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثورى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا».

وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها، وصح سند بعضها. ولا تنافى بينها وبين حديث الشطر لأنه صلى الله عليه وسلم رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدساً آخر. وقد روى أحمد فى مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة، قال فكبرنا. ثم قال فأرجو أن تكونوا الشطر، وإسناده على شرط مسلم.

الباب الحادى والثلاثون

(فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار)

ثبت فى الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: «أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما فى الجنة عزب فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر، والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمه حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب».

فإن قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وحديث جابر المتفق عليه «شهدت مع رسول الله ﷺ العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال فجعلت المرأة تلقى خاتمها، وخرصها والشىء كذلك، فأمر النبى (ص) بلالا فجمع ما هناك، قال إن منكن فى الجنة ليسير، فقالت امرأة يارسول الله لم؟ قال إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وفى الحديث الآخر «إن أقل ساكنى الجنة النساء».

قيل هذا يدل على أنهن إنما كن فى الجنة أكثر بالحور العين التى خلقن فى الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار. أما كونهم أكثر

أهل النار فلما روى البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « أطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، وأطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال :قال رسول الله ﷺ . « أطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلهـــا الفقراء ، وأطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وروى الإمام أحمد باسناد صحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ . « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وفى المسند أيضاً من حديث عبد الله بن عمر قال :قال رسول الله ﷺ : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » .

وفى الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن خدلة (١) وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار : قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن ، قالت يارسول الله وما نقصـــان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل ؛ فهذا نقصان العقل ، وتمكث الأيام لا تصلى وتفطر . فهذا نقصان الدين .

وأما كونهن أقل أهل الجنة ففى أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى جئت من عند فلانة . فقال جئت من عند عمران ابن حصين فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال . « أن ساكنى الجنة النساء » .

فإن قيل ما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى حدثنا عمرو بن الضحاك ابن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه فذكر حديثا طويلا وفيه « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله تعالى وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله فى الدنيا » وذكر الحديث قيل هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة ، وقال الدارقطنى وغيره متروك الحديث وقال ابن عدى أحاديثه كلها مما فيه نظر ، وأما البخارى فقال فيه ما حكاه الترمذى عنه قال سمعت محمداً يقول فيه . هو ثقة مقارب الحديث .

(قلت) ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته ،

---

(١) هى الغليظة الممتلئة الساق.

وأيضاً فالرجال الذى روى عنه القرظى لا يدرى من هو ، وقد روى عنه أحمد فى مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كنا مع عمرو بن العاص فى حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة فى هو دجها قال فال فدخل الشعب فدخلنا معه، فقال كنا مع رسول الله فى هذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » والأعصم من الغربان الذى فى جناحه ريشة بيضاء . قال الجوهرى : ويقال هذا كقولهم : الأبلق العقوق وبيض الأنوق ـ لكل شىء يعز وجوده ، وفى النهاية : الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الأبيض الرجل ، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء لأن هذا الوصف فى الغربان قليل وفى حديث آخر « المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم قيل وما الغراب الأعصم يارسول الله قال الذى إحدى رجليه بيضاء » وفى حديث آخر « عائشة فى النساء كالغراب الأعصم فى الغربان »

(الباب الثانى والثلاثون)

(فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم)

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر) فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال رسول الله ﷺ اللهم اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال « سبقك بها عكاشة » وفى الصحيحين من حديث سهل ابن سعد أن رسول الله (ص) قال « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »

فهذه هى الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب ، والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم ـ حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا خصيف بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال « أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ قلت أنا ، ثم قلت أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت ، قال فما صنعت؟ قلت استرقيت ؛ قال فما حملك على ذلك ؛ قلت حديث حدثناه الشعبى ؛ قال وما حدثكم الشعبى ؟ قلت حدثنا عن بريدة ابن الحصيب الأسلمى أنه قال « لا رقية إلا من عين أو حمة » فقال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ قال « عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل والرجلان ؛ والنبى وليس معه أحد ، ورفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم

امتى ، فقيل لى هذا موسى وقومه . ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب. ولا عذاب بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبره فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله يجعلنى منهم فقال أنت منهم . ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة ، وليس عند البخارى « لا يرقون » قال شيخنا وهو الصواب. وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث وهى غلط من بعض الرواة فان النبي (ص) جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع الشرك ؛ ويتوكلون على الله وحده لا على غيره،وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما فى الحديث الطيرة شرك قال ابن مسعود : وما منا إلا من تطير ولكن الله يذهبه بالتوكل،فالتوكل ينافى فى التطير وأما رقية العين فهى إحسان من الراقى قد رقى رسول الله (ص) جبريل وأذن فى الرقى وقال « لا بأس بها ما لم يسكن فيها شرك » واستأذنوه فيها فقال « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه وهذا يدل على أنها نفع وإحسان وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله فالراقى محسن والمسترقى سائل راج نفع الغير ، والتوكل ينافى ذلك.

(فان قيل) فعائشة قد رقت رسول الله (ص) وجبريل قد رقاه (قيل)أجل ولكن هو لم يسترق ، وهو (ص) لم يتمل « ولا يرقيهم راق » وإنما قال لا يطلبون من أحد أن يرقيهم وفى امتناعه (ص) أن يدعو للرجل الثانى سد لباب الطلب ، فانه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله والله أعلم .

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله (ص) « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب ، قيل ومن هم ؟ قال هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وفى صحيحه أيضاً من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال سمعت النبى (ص) يذكر حديثا طويلا وفيه : فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم فى السماء ثم كذلك ، وذكر تمام الحديث .

وقال أحمد بن منيع فى مسنده حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « عرضت على الأمم بالموسم فتراءيت على أمتى ثم رأيتهم فأعجبنى كثرتهم وهيئتهم قد ملأوا السهل والجبل ، فقال أرضيت يا محمد ؟ فقلت نعم فقال إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله ﷺ أنت منهم فقام رجل آخر فقال « سبقك بها عكاشة » وإسناده على شرط مسلم .

(الباب الثالث والثلاثون)

(فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة)

قال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربى »

(قلت) واسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه ، فأما تدليسه فقد قال الطبرانى حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن إسحق التسترى قالا حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا إسماعيل بن عياش قال أخبرنى محمد بن زياد الالهانى قال سمعت أبا أمامة فذكره أما ضعفه فإنما هو فى غير حديث الشاميين ، وهذا من روايته عن الشاميين .

وأيضاً فقد جاء من غير طريقه ، قال أبو بكر بن أبى عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ « إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب » قال يزيد بن الأخنس والله ما أولئك فى أمتك يارسول الله إلا مثل الذباب الأصفر فى الذباب ، قال رسول الله ﷺ « فإن الله وعدنى سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفا وزادنى ثلاث حثيات » قال أبو عبد الله المقدسى : أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ، ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضى شيخ البخارى ، ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزنى وما علمت فيه جرحاً ، قال الطبرانى حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثنى عامر بن يزيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى قال قال رسول الله ﷺ « أن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ، ثم يتشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، يحثى ربى تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات فكبر عمر وقال إن السبعين الأول يشفعهم الله فى آبائهم وأبنائهم وعشائرهم ، وأرجو أن يجعلنى الله

فى إحدى الحثيات الأواخر ، قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الاسناد علة ، قال الطبرانى وحدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثنى عبد الله بن عامر بن قيس الكندى أن أبا سعيد الأنمارى حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفا ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه ، قال ابن قيس فقلت لأبى سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم بأذنى ورعاه قلبى، قال أبو سعيد فقال رسول الله (ص) وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجرى أمتى ، ويوفى الله عز وجل بقيته من أعرابنا ، قال الطبرانى : لم يرو هذا الحديث عن أبى سعيد الانمارى إلا بهذا الاسناد . وتفرد به معاوية بن سلام ، وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبى توبة الربيع من نافع باسناده وفيه قال أبو سعيد : فحسب ذلك عند رسول الله (ص) فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف فقال رسول الله (ص) إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجرى أمتى .

قال الطبرانى حدثنا محمد بن صالح بن الوليد الترسى ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهانى قالا أخبرنا أبو حفص عمرو بن على حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أبى بكر بن أنس عن أبى بكر بن عمير عن أبيه أن النبى (ص) قال أن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلاثمائة ألف الجنة فقال عمير يارسول الله زدنا فقال هكذا بيده ، فقال عمير يارسول الله زدنا ، فقال عمر: حسبك ياعمير ، فقال : ما لنا ولك ياابن الخطاب وما عليك أن يدخلنا الله الجنة ، فقال عمر إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة فقال رسول الله (ص) صدق عمر ، قال محمد بن عبد الواحد : لا عرف لعمير حديثا غيره .

وفى الحلية من حديث سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبى (ص) قال « وعدنى ربى عز وجل أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف فقال أبو بكر يارسول الله زدنا قال « وهكذا » وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك . قال يارسول الله زدنا فقال عمر إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله (ص) صدق عمر . رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدى وفيه ضعف تفرد به أبو هلال الراسبى بصرى واسمه محمد بن سليمان .

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن انس قال :قال رسول الله (ص) إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف ،قال أبو بكر زدنا يارسول الله قال وهكذا ـ وجمع بين يديه ـ قال زدنا يارسول الله قال وهكذا فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر دعنى وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا ! فقال عمر إن شاء الله أدخل

خلقه الجنة بكف واحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر . تفرد به عبد الرازق .

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبدالقاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي (ص) قال « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا . قالوا زدنا يارسول الله فقال « وهكذا » وحثى بيده قالوا يانبي الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا - قال محمد بن عبد الواحد : لا أعلمه روى عن أنس بهذا الطريق ، وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا فى قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين. فإن قيل فكيف كانوا أولا قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور قيل : الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم ، وقد روى أنهم كانوا كالذر : وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقة و أكمل أجساما فناسب أن تتعد الحثيات بكلتا اليدين . والله أعلم .

الباب الرابع والثلاثون

(فى ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا أنبأنا زهير حدثنا سعيد الطائي حدثنا أبو مدلة مولى ام المؤمنين سمع أباهريرة يقول : قلنا ياسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا . وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد . قال لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر الله لهم . قال قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها (١) المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت . وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر . ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين .

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال سئل رسول الله (ص) عن الجنة فقال « من يدخل الجنة يحيا لا يموت ، وينعم لا ييأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها ؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران .

(١) اللبنة : الطوبة . والملاط : الطين . والحصباء . الحصى .

هكذ جاء فى هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران . وكذلك روى عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ص) « الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك » .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس بن مالك قال : كان ابوذر يحدث أن رسول الله قال « أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ (١) اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » وهو قطعة من حديث المعراج ، وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص ، فقال رسول الله (ص) صدق ، ثم رواه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن الجريرى عن ابى نضرة أن ابن صياد سأل النبى (ص) عن تربة الجنة فقال « درمكة (٢) بيضاء مسك خالص » وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يامحمد قد غلب أصحابك اليوم ، قال وبأى شىء غلبوا ؟ قال سألهم اليهود كم عدد خزنة النار ، فقالوا لا ندرى حتى نسئل نبينا ، فقال رسول الله (ص)أيغلب قوم سئلوا عما لايعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟ ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة . على بأعداء الله فإنى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة ، فلما أن جاؤا قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار ؟ فقال رسول الله (ص) بيديه كلتيهما هكذا وهكذا ـ وقبض واحدة أى تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله « ما تربة الجنة فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا خبزة يا ابا القاسم . فقال النبى : الخبزة من الدرمكة .

فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين : المسك والزعفران . قال ابو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن أبى عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال: قال مغيث بن سمى : الجنة ترابها المسك والزعفران ويحتمل معنيين آخرين (أحدهما) أن يكون التراب من زعفران : فإذا عجن بالماء صار مسكا والطين يسمى ترابا ، ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر « ملاطها المسك » والملاط الطين ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد « ترابها الزعفران وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لها طيب آخر فصار مسكا (المعنى الثانى) أن يكون زعفرانا باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من احسن شىء يكون: البهجة والاشراق لون الزعفران . والرائحة رائحة المسك . وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز

---

(١) جمع جنبذة وهى القبة (٢) هى الدقيق الحوارى .

الصافى الذى يضرب لوته إلى الصفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابى نجيح عن مجاهد بهذا ، أرض الجنة من فضة وترابها المسك .

فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عمر بن عطاء بن زوارة عن سالم بن المغيث عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال « أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون . فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيبا فتقول : لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة ، وانا بك الآن اشد إعجابا .

وقال ابن أبى شيبة حدثنا معاوية بن هشام حدثنا على بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال : قيل يارسول الله كيف بناء الجنة ؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب . وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران. وقال ابو الشيخ حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى حدثنا عدى بن الفضل حدثنا سعيد الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ص) « إن الله بنى جنات عدن بيده وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، وترابها الزعفران ، وحصباءها اللؤلؤ ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك » وقال ابو الشيخ حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو علاثة حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابى بن كعب قال قال رسول الله (ص) « قلت ليلة أسرى بى ياجبريل انهم سيسألونى عن الجنة ، قال فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان » والعقيان الذهب ، فان كان ابن علاثه حفظه فهى أرض الجنتين الذهبيتين ، فيكون جبريل أخبرة بأعلا الجنتين وأفضلهما والله أعلم .

الباب الخامس والثلاثون

(فى ذكر نورها وبياضها)

قال أحمد بن منصور الرمادى انبأنا كثير بن هسام حدثنا هشام بن زياد وابو المقدام عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبى رباح عن بن عباس ان رسول الله (ص) قال « خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الزى إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم . ثم امر برعاء الساة فجمعت فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء فجاءته امرأة فقالت يارسول الله إنى اتخذت غنما سوداً فلا اراها تنمو . قال « عفرى » وفرله عفرى اى بيضى .

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبدالرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه « إن الله خلق الجنة بيضاء وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم » وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بالبياض فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ورويناه من طريق البخاري حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفي عن خاله الزميل ابن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباد بالمدينة بعد ما كف بصره ، فقال يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة ، قلت فما نورها ؟ قال ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا انه ليس فيها شمس ولا زمهرير ، وذكر الحديث وسيأتى إن شاء الله تعالى ، وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله ابن أحمد فى مسند أبيه عن النبى ﷺ وذكر الحديث وقال : وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحداً. قال قلت يارسول الله فبم نبصر ؟ قال مثل بصرك فى ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

وفى سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المغافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع اسامة بن زيد يقول قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لاخطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها . قال قولوا إن شاء الله ، قال القوم إن شاء الله .

الباب السادس والثلاثون

(فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها)

قال الله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) فأخبر أنها غرف فوق غرف ، وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء. بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالى بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عياناً ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية ، أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها .

وقال تعالى (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا) والغرفة جنس كالجنة، وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله : الغرفة والتحية وسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم ، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم .

وقال تعالى (وما أموالكم ولاأولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون)وقال تعـالى(يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار . ومساكن طيبة فى جنات عدن) وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة)

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعدعن على قال قال رسول الله(ص) « إن فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها . فقام أعرابى فقال يارسول الله لمن هى ؟ قال لمن طيب الكلام ،وأطعم الطعام،وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام »قال الترمذى هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عبدالرحمن ابن إسحاق . وقال الطبرانى حدثنا عبدان بن احمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال حدثنى أبو سـلام حدثنى أبومعانق الأشعرى حدثنى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله (ص) قال «إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام .

وقال ابن وهب حدثنا حيى بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمروعن النبى ﷺ قال « إن فى الجنة غرفاً يرى طاهرها من باطنها وباطنها من طاهرها . قال أبو مالك الأشعرى لمن هى يارسول الله ؟ قال لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » قال محمد بن عبد الواحد وهو عندى إسناد حسن . وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته ، لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضاً حسن ، وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق على صحته « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق » وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا : فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً , وقد تقدم قوله ﷺ فى الحديث الصحيح ، من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة » وقوله فى حديث أبى موسى يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد »

وفى الصحيين من حديث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبى ﷺ هذه خديجة أقرئها السلام من ربها وأمره أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب » والقصب هىنا قصب اللؤلؤ المجوف ، وقد روى ابن أبى الدنيا من حديث يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبى(ص)قال « إن فى الجنة لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم »

وفى الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي (ص) قال « أدخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت لمن هذا القصر ؟ قالوا لشاب من قريش ، فظننت أنى أنا هو ، فقلت ومو هو قالوا لعمر بن الخطاب » وهو فيهما من حديث جابر ولفظه « فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب » وقد تقدم ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا شجاع بن الأشرس قال سمعت عبد العزيز ابن أبى سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال « دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال قلت لجبريل لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل من قريش، فرجوت أن اكون أنا ، فقلت لأى قريش ؟ قال لعمر بن الخطاب » وهذا إن كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه والله أعلم . وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ـ يرفع بها صوته .

وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمى قال : إن فى الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً من زبرجد، وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها ، وروى البيهقى من حديث حفص بن عمرو بن قيس الملائى عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) « إن فى الجنة لغرفاً ، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها قيل لمن هى يارسول الله ؟ قال لمن أطاب الكلام وواصل الصيام واطعم الطعام وأفشى السلام . وصلى والناس نيام قال وما طيب الكلام ؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإنها تأتى يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات ، وقيل وما وصال الصيام ؟ قال من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه ، قيل وما اطعام الطعام ؟ قال من قات عياله وأطعمهم ، قيل وما إفشاء السلام ؟ قال مصافحة أخيك وتحيته ، قيل وما الصلاة والناس نيام ، قال صلاة العشاء الآخرة » قال حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير على بن حرب فيما أعلم .

(قلت) هذا يلقب بالكفر ـ بفتح الكاف وسكون الفاء ، وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلى بن حرب وهما ثقتان ، ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان . وحديثه هذا له شواهد والله أعلم ، وفى فوائد ابن السماك حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبى حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر ابن عبدالله قال قال النبي (ص) ألا أحدثكم بغرف الجنة ؟ قال قلنا بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمنا ، قال إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ،

فيها من النعيم واللذات مالا عين رأت ولا أذن سمعت قال قلنا يارسول الله لمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام قال : قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال أمتى تطيق ذلك . وسأخبركم عن ذلك . من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام. ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى صلاة العشاء الآخيرة فى جماعة فقد صلى الليل والناس نيام، اليهود والنصارى والمجوس » وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى باسنادين آخرين .

الباب السابع والثلاثون

(فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك)

قال تعالى (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ؛ ويدخلهم الجنةعرفها لهم) قال مجاهد يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً . وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح « هم أعرف بمنالهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ، وقال محمد بن كعب : يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة .

هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة » عرفها لهم أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال ، وقال مقاتل ابن حيان بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه كل شىء أعطاه الله فى الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه ، وقال سلمة بن كهيل : طرقها لهم ؛ ومعنى هذا أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها ، وقال الحسن وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها ؛ وعلى هذا القول فالتعريف وقع فى الدنيا ، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم وعلى القول الأول يكون التعريف واقعاً فى الآخرة .

هذا كله إذا قيل إنه من التعريف ؛ وفيها قول آخر أنه من العرف وهو الرائحة الطيبة ؛ وهذا اختيار الزجاج أى طيبها لهم ؛ ومنه طعام معرف أى مطيب ؛ وقيل من العرف وهو التتابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها .

والقول هو الأول وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره ، وفى صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى

أن نبي الله ﷺ قال « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنـــار يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة . والذى نفسى بيده أن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيـــا » وفى مسند آخر من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله (ص) « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلو الجنة » .

(الباب الثامن والثلاثون)

(فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولهم)

قد تقدم قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) وقال تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال بن أبى الدنيا حدثنا محمد بن عبـاد بن موسى العـكلى حدثنا يحي بن سليم الطائفى حدثنا اسماعيل بن عبد الله المـكى حدثنا أبو عبد الله أنه سمع الضحاك ابن مزاحم يحدث عن الحارث عن على أنه سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال قلت يارسول الله ما الوفد إلا ركب . قال النبى (ص) والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر ، وينتهون إلى باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينـــان فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم ، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً ، فيضربون الحلقة بالصفيحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب ، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء ، فيقول أنا قيمك الذى وكلت بأمرك ، فيتبعه فيقفوا أثره فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول أنت حبى وأنا حبك ، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً والخالدة فلا أظعن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها ، فيأتى الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً ، عليها سبعون زوجه ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى مخ

ساقها من باطن الجلد ، يقضي جماعهن في مقدار ليلة ، تجري من تحتهم أنهار مطردة ، أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاءوا ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاءوا إن شاء قائما . وإن شاء متكئاً . وذلك قوله عز وجل (وجنى الجنتين دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ » هذا حديث غريب وفي إسناده ضعف ، وفي رفعه نظر ، والمعروف أنه موقوف على علي .

قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عمر بن سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن النعمان بن سعد في هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال « أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة ».

وقال علي بن الجعد في الجعديات أنبأنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي قال : يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً . حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نظرة النعيم ، فلن تغير أبشارهم أو تغير بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . قال ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، فيقولون أبشر بما أعد الله لك من الكرامة ، كذا قال . ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان ـ باسمه الذي يدعى به في الدنيا ، فتقول أنت رأيته ؟ فيقول أنا رأيته وهو ذا بأثري فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون . ثم رفع رأسه فنظر

إلى سقفه فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لأوشك أن يذهب بصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وذرابى مبثوثة ، فنظروا إلى تلك النعمة ثم اتكؤوا وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ثم ينادى منـــاد ، تحيون فلا تموتون أبداً ، وتقيمون فلا تظعنون أبداً ، وتصحون فلا تمرضون أبداً .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : ذكر لنـــا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم ، وحلى حليهم ، ورأى أزواجه وخدمه ، ويأخذ سوار فرح(١) لو كان ينبغى أن يموت لمات من سوار فرحـــه ، فيقال له أرأيت سوار فرحتك هذه فإنها قائمة لك أبداً .

قال ابن المبارك وأخبرنا راشد بن سعد أنبأنا زهرة بن معبد القرشى عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : إن العبد أول ما يدخل الجنة ، يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ .

قال ابن المبارك وأنبأنا يحى بن أيوب حدثنى عبيد الله بن زخر عن محمد بن أبى أيوب المخزومى عن أبى عبد الرحمن المعافرى قال : إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه . حتى إذا مر مشوا وراءه . وقال أبو نعيم أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال : إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به فى سككها فيقول له انظر ما ترى؟ قال أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس . فيقول له الملك فإن هذا أجمع لك ، حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون نحن لك . ثم يقول : امش ، فيقول ماذا نرى ؟ فيقول أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس . قال فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا نحن لك نحن لك .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً ـ أو سبعمائة ألف ـ متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » .

---

(١) السوار ـ بالضم ـ دبيب الشراب فى الرأس ، أى دب فيه الفرح دبيب الشراب .

﴿ الباب التاسع والثلاثون ﴾

فى ذكر صفة اهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر — وهم نفر من الملائكة جلوس — فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك . قال فذهب فقال السلام عليكم . فقال السلام عليك ورحمة الله فزادوه « ورحمة الله » قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا ، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن » متفق على صحته .

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا حدثنا حماد بن سلمة عن على ابن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع » قيل تفرد به حماد عن على بن زيد ،

وفى جامع الترمذى من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين » قال هذا حديث حسن غريب . وقال ابو بكر بن داود حدثنا محمود بن خالد وعباس ابن الوليد قال حدثنا عمر عن الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين بسنة جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله (ص) « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا . وكذلك أهل النار » فان كان هذا محفوظا لم يناقض ما قبله ، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين : تارة يذكرون النيف للتحرير

وتارة يحذفونه . وهـــذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم .

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ثلاثة وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون » وقال بن وهب حدثنا معاوية بن صالح عن عبدالوهاب بن بخت عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعا ، وعلى ذلك قطعت سررهم » وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء إضاءة .

وأما الأخلاق فقد قال تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم . وفى الصحيحين « أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء » والرواية « على خلق » بفتح الخاء وسكون اللام . والأخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم فهى جمع للخلق بالـفتح . والمراد تساويهم فى الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا فى الحسن والجمال . ولهذا فسره بقوله : على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء . وأما أخلاقهم وقلوبهم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة « أول زمرة تلج الجنة » الحديث وقد تقدم وفيه « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية » وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نســـاءهم بأنهن أتراب أى فى سن واحدة ليس فيهن العجـــائز والشواب . وفى هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل فى إستيفاء اللذات لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى التنـــاسب الذى بين هذا الطول والعرض ، فإنه لو زاد أحـــدهما على الآخر فات لاعتدال وتناسب الخلقة يصير طولا مع دقة أو غلظا مع قصر وكلاهما غير مناسب والله أعلم .

(الباب الأربعون)

(فى ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه)

قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات) قال مجاهد وغيره (منهم من كلم الله) موسى (ورفع بعضهم درجات) هو محمد ﷺ . وفى حديث الإسراء المتفق على صحته أنه ﷺ لما جاوز موسى قال رب لم أظن أن ترفع على أحداً ، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى . وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ « أن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة رضيت رب . قال رب فأعلاهم منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر »

وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد انبأنا شبابه عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول . قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر غير مرفوع . قال ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفا.ورواه عبد الله الأشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه .

(قلت) ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث أبى معاويه عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير

عن ابن عمر مرفوعا « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر فى ملكه ألفى سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه » الحديث . ورواه أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول : قال إسرائيل لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبى (ص) .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ـ هو ابن موسى ـ حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ص) « إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ـ ولا أعلمه قال إلا من ذهب ـ فى كل صحفة لون ليس فى الآخر . وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره . ومن الأشربة بثلثمائة إناء فى كل إناء لون ليس فى الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وإنه ليقول يارب لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شىء وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » .

(قلت) سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائى ، وشهر بن حوشب ضعفه مشهور، والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة ، فإن طول ستين ذراعا لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض . والذى فى الصحيحين فى أول زمرة تلج الجنة لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين ، فكيف يكون لأدناهم اثنتان وسبعون من الحور العين ، وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن ؟ وأيضاً فإن الجنتين الذهبيتين أعلا من الفضيتين فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين ؟ قال الدولابى : شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس . وقال ابن عون بن حوشب شهراً تركوه . وقال النسائى وابن عدى : ليس بالقوى . وقال أبو حاتم لا يحتج به ، وتركه شعبة ويحيى بن سعيد . وهذان من أعلم الناس بالحديث ورواته وعلله ، وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه فلا ريب أنه إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل والله أعلم .

الباب الحادى والأربعون

فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان قال : كنت قائما عند رسول الله (ص) فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال لم تدفعنى ؟ فقلت الا تقول « يا رسول الله » فقال اليهودى إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله . فقال رسول الله (ص) إن اسمى محمداً الذى سمانى به أهلى ، فقال اليهودى جئت أسألك . فقال له رسول الله (ص) أينفعك بشىء إن حدثتك ؟ فقال أسمع بأذنى ، فنكت رسول الله (ص)

بعود معه فقال «سل» فقال اليهودى : أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟فقال رسول الله (ص) «فى الظلمة دون الجسر» . قال فن أول الناس إجازة يوم القيامة ؟ قال فقراء المهاجرين . قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد النون . قال فما غداؤهم على أثرها ؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها . قال فما شرابهم ؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا . قال صدقت . قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان . قال أينفعك إن حدثتك ؟ قال أسمعك بأذنى . قال جئت أسألك عن الولد ؟ قال « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر . فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله تعالى وإن علا منى المرأة منى الرجل أنثا بإذن الله تعـــالى ، قال اليهودى لقد صدقت وإنك لنبى . ثم انصرف فقال رسول الله (ص) لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه وما لى علم بشيء منه حتى أتانى الله عز وجل به » .

وفى صحيح البخارى عن أنس قال : سمع عبدالله بن سلام مقدم رسول الله (ص) المدينة وهو فى أرض يخترف(١) فأتى النبى (ص) فقال إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال أخبرنى بهن جبريل آنفا . قال جبريل ؟ قال نعم . قال ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الآيه (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ، أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت . وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد . وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت . قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى . فجاءت اليهود فقال أى رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا . قال أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ فقالوا اعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال اشهد أن لا إله إلا الله ، واشهد ان محمداً رسول الله ، فقالوا شرنا وابن شرنا . وانتقصوه ، فقال هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله .

وفى الصحيحين من حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال . قال النبى (ص) « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر لأهل الجنة . فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال بلى ، قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبى (ص)

(١) أى يجتنى الثمر من المخرف وهو حائط النخل .

فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال بلى قال إدامهم بالام والنون ،قال وما هذا ؟ قال ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا وقال عبد الله بن المبارك حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره أن أبا العوام أخبره أنه سمع كعباً يقول إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة أدخلوها إن لكل ضيف جزورا وإني أجزركم اليوم فأتى بثور وحوت فيجزر لأهل الجنة .

الباب الثانى والأربعون

(فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق)

قال الطبرانى حدثنا موسى بن حازم الاصبهانى حدثنا محمد بن بكير الحضرمى حدثنا مروان ابن معاوية الفزارى عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جنادة بن ابى أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخارى فى الصحيح عن قيس بن حفص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عمرو الفقيمى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ـ ولم يذكر بينهما جنادة ـ وقال « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وقال الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدى بن سليمان ـ هو البصرى ـ عن ابن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « ألا من قتل نفسا معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا » قال وفى الباب عن أبى بكره ، وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح . قال محمد بن عبد الواحد وإسناده عندى على شرط الصحيح .

(قلت) وقد رواه الطبرانى من حديث عيسى بن يونس عن عوف الأعرابى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة يرفعه « من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » وقال الطبرانى حدثنا إسحق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبى بكرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام.وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه . وقد أخرجا فى الصحيحين من حديث أنس قال : لم يشهد عمى مع رسول الله ﷺ بدرا.قال فشق عليه . قال أول مشهد شهده رسول الله (ص) غبت عنه ، فإن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله(ص) ليرين الله ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها.قال فشهد مع رسول الله (ص) يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أين ؟ فقال واها لريح الجنة أجده دون أحد ، قال فقاتلهم حتى قتل ؛

قال فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية . فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قالوا فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه .

وريح الجنة نوعان : ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد ، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد ، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول والله أعلم.

وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد بن غياث أنبأنا الربيع بن بدر حدثنا هارون بن رباب عن مجاهد عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) قال « إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف حدثنا أبى حدثنا محمد بن كثير حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر محمد بن على عن جابر قال : قال رسول الله (ص) ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى (ص) قال « من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام »

وقد أشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار آثارا من آثار الجنة ، وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة ، والمناظر البهية والفاكهة الحسنة ، والنعيم والسرور وقرة العين وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله (ص) يقول الله عز وجل للجنة طيبى لأهلك . فتزداد طيبا فذلك البرد الذى تجده الناس بالسحر من ذلك كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة . قال تعالى فى هذه النار نحن جعلناها تذكرة وأخبر النبى (ص) أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم : فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها والله المستعان .

(الباب الثالث والأربعون)

(فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها)

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى (ص) قال ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وأن لكم أن تشبوا

فلا تهرموا أبدا ، وأن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا ، وذلك قول الله عز وجل(ونودوا أن تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون) .

قال عثمان بن ابى شيبة حدثنا يحي بن آدم حدثنا حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن الأغر عن ابى هريرة وابى سعيد عن النبى (ص) « (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا ابدا . واخلدوا فلا تموتوا أبدا ، وانعموا فلا تيأسوا ابدا » وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن صهيب أن النبى (ص) قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار نادى مناد يأهل الجنه إن لكم عند الله موعدا . فيقولون ما هو ؟ الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب إليهم من النظر إليه » .

وقال عبد الله بن المبارك انبأنا ابو بكر الإلهانى اخبرنى ابو تميم الهجيمى قال سمعت ابا موسى الأشعرى يخطب على منبر البصرة يقول : « إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكا إلى اهل الجنة فيقول يا اهل الجنة هل انجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون نعم قد انجزنا ما وعدنا قالوا ذلك ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقى شىء ، ان الله يقول (للذين احسنو الحسنى وزيادة) قال الا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله) .

وفى الصحيحين من حديث ابى سعيد الخدرى قال:قال رسول الله (ص): (ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة يااهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ، فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا ربنا واى شىء افضل من ذلك ؟ قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا) ومن تراجم البخارى عليه (باب كلام الرب مع اهل الجنة) وسيأتى فى هذا أحاديث نذكرها فى باب معقود لذلك ان شاء الله .

وفى الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال :(يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه) وهذا الآذان وان كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع اهل الجنة والنار ، ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل اليهم ملكا فيؤذن مؤذن الجمعة اليها وذلك فى مقدار يوم الجمعة كما سيأتى مبينا فى باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم

الباب الرابع والأربعون

﴿ فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها ﴾

قال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، فى سدر مخضود ، وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة) وقال تعالى (ذواتا أفنان) وهو جمع فنن وهو الغصن وقال (فيها فاكهة ونخل ورمان) والمخضود الذى قد خضد شوكه ، أى نزع وقطع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة ، واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخضد فى اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته ، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ، ومنه الخضد على مثال الثمر ، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب ، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه .

(الحجة الثالثة) قال ابن أبى داود حدثنا محمد بن مصطفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى ابن حمزة حدثنا ثور بن يزيد حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمى قال (كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها يعنى الطلح ، فقال رسول الله ﷺ إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود(١) فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر) (الملبود) الذى قد اجتمع شعره بعضه على بعض .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال : (كان أصحاب رسول الله (ص) يقولون ان الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، أقبل أعرابى يوماً فقال يارسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هى ؟ قال السدر فأن له شوكا مؤذيا . قال أليس الله يقول فى سدر مخضود ؟!! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة) وقالت طائفة المخضود هو الموقر حملا ، وأنكر عليهم هذا القول وقالوا لا يعرف فى اللغة الخضد بمعنى الحمل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أو قرت بالحمل . والحديثان المذكوران يجمعان القولين ، وكذلك قول من قال المخضود الذى لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه ، فسره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراده تارة ، ومثالا من أمثلته فيحكيها الجامعون للغث والسمين أقوالا مختلفة ، ولا اختلاف بينها .

---

(١) فى النهاية خصوة التيس الملبود اى المكتنز اللحم الذى لزم بعضه بعضاً فتلبد .

(فصل) وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز ، قال مجاهد : أعجبهم طلح «وج» وحسنه فقيل لهم(وطلح منضود)وهذا قول على بن أبى طالب وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى . وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب . قال حاديهم

وبشرها دليلهـا وقالا   غداً ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك . وقال ابن قتيبة : هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره . فليس له ساق بارز. وقال مسروق : ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجرى من غير أخدود . وقال الليث الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عوداً وأجوده صنعا قال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان لأن له نوراً طيب الرائحة جداً فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا ، فانه ليس فى الجنة مما فى الدنيا إلا الاسامى .

والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح فى اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادى والله أعلم.

وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ص) «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . فاقرأوا إن شئتم وظل ممدود» وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله (ص) قال «ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها» قال أبو حازم فحدثنا به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى (ص) قال «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها» وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرحمن ابن مهدى حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة سنة ، هى شجرة جنة الخلد» .

وقال وكيع حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم عن الزهرى عن أبى هريرة رضى الله عنه . ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام . اقرأوا إن شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعباً فقال صدق . والذى أنزل التوراة على لسان موسى . والفرقان على لسان محمد (ص) لو أن رجلا ركب جذعة أو جذعا ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرماً . إن الله غرسها بيده ونفخ فيها ، وإن أصلها من وراء سور الجنة ، ما فى الجنة نهر إلا

وهو يخرج من أصل تلك الشجرة ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهرى حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال « الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها فيخرج إليها أهل الجنة » أهل الغرف وغيرهم يتحدثون فى ظلها ، قال فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا . فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا .

وفى جامع الترمذى من حديث أبى حامد عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) « ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال هذا حديث حسن . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ص) « يقول الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون) وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرأوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وصدره فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) « وإن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن شئتم فاقرأوا (وظل ممدود وماء مسكوب)

وقال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رجل يارسول الله ماطوبى ؟ قال شجره فى الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ، وقد رواه عنه حرملة بزيادة ، وقال أخبرنى ابن وهب اخبرنى عمرو أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا قال يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى . فقال رجل يارسول الله وما طوبى ؟ قال شجره فى الجنة مسيره مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها (قلت) وأول هذا الحديث فى المسند ولفظه : طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات .

وقال ابن المبارك حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر (١) وسعفها كسوه لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال . والدلاء أشد بياضا من اللبن . وأحلى مذاقا من العسل وألين من الزبدة ليس فيها عجم » وقال الإمام أحمد حدثنا على بن بحر حدثنا هشام بن يوسف حدثنا

---

(١) كربها – بالتحريك أصل السعف ، وقيل ما يبقى من أصوله فى النخلة بعد القطع كالمراقى

معمر عن يحي بن أبى كثير عن عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبه بن عبد السلمى يقول : «جاء أعرابى الى النبى ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابى فيها فاكهة ؟ قال نعم وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئاً لاأدرى ماهو ؟ فقال أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، فقال النبى ﷺ أتيت الشام ؟ قال لا . قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها ، قال ما عظم أصلها ؟ قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما ، قال فيها عنب ؟ قال نعم : قال فما عظم العنقود ؟ قال مسيرة شهر للغراب لايقع ولايفتر، قال فما عظم الحبة ؟ قال هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما ، قال نعم ، فسلخ إهابه فاعطاه أمك وقال لها اتخذى لنا منه دلوا ؟ قال نعم ، قال الأعرابى فان تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى ، قال نعم وعامة عشيرتك »

قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير عن محمد وابن إسحاق عن يحي بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة ، أو قال يستظل فى الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » ورواه الترمذى وقال شك يحي وهو حديث حسن غريب. وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال « أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق أفنانها لؤلؤ وزبرجد ياقوت والورق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائما لم يؤذه ومن أكل جالسا لم يؤذه ومن أكل مضطجعا لم يؤذه » وذللت قطوفها تذليلا » وقال أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبد الله قال : « نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله قال فانطلق فأظله فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال ياجرير تواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة ، ياجرير هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت لا أدرى ، قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال ياجرير إذا طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت ياعبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر »

الباب الخامس والأربعون

(فى ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها)

قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما

رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة) وقولهم (هذا الذى رزقنا من قبل) أى شبيهه ونظيره لاعينه ، وهل المراد هذا الذى رزقنا من الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة؟ قيل فيه قولان ففى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ قالواهذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا قال مجاهدما أشبهه به ، وقال ابن زيد هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا،وأتوا به متشابها يعرفونه،وقال آخرون هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة،من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً فى اللون والطعم

واحتج أصحاب هذا القول بحجج (إحداها) أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ولشدة المشابهة قالوا هذا هو (الحجة الثانية) ماحكاه ابن جرير عنهم قال ومن علة قائلى هذا القول إن ثمار الجنة كلما نزع منها شىء عاد مكانه آخرمثله كما كان ، حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدى حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى (الحجة الثالثة) قوله (وأتوابه متشابها) وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذى رزقنا من قبل (الحجة الرابعة) أن من المعلوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه :

قال ابن جرير : والذى يحقق صحة قول القائلين أن معنى ذلك هذا الذى رزقنامن قبل فى الدنيا إن الله جل ثناؤه قال (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) يقولون هذا الذى رزقنا من قبل ، ولم يخصص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض، فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه.فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذى رزقنا من قبل إلا أن ينسبهم ذو غبة وضلال إلى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه . أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لأول رزق يرزقونه من ثمارها . فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال . فقد تبين أن معنى الآية (كلما رزقوا منها من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا

(قلت) أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل والسياق عليه . وليس هذا يبدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات (أحدها) أن كثيراً من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا لا يقال فيها ذلك (الثانى) أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة (الثالث) أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا هذا الذى رزقنا فى الدنيا . ويستمرون على هذا الكلام دائما إلى غير نهاية ، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم ، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب ومعناه أنه يشبه بعضه بعضا ، ليس أوله خيراً من آخره ، ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك ، بل أوله مثل آخره وآخره مثل أوله : وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا .

فهذا وجه قولهم ، ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ، ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه . والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله أعلم .

وأما قوله عز وجل (وأتوا به متشابها) قال الحسن خيار كله لا رذل . ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه ، وأن ذلك ليس فيه رذل . وقال قتادة : خيار لا رذل فيه فإن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها . وكذلك قال بن جريج وجماعة ، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى ، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله (ص) : متشابها فى اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم . قال مجاهد متشابها لونه مختلفا طعمه . وكذا قال الربيع بن أنس وقال يحيى بن أبى كثير : عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون هذا الذى جئتمونا به آنفاً . فيقول لهم الخدم كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . فهو قوله عز وجل (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابهاً) .

وقالت طائفة وناس : معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب قال ابن وهب قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا فى الدنيا : التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان . قالوا فى الجنة (هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها) يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم . واختار بن جرير هذا القول : قال ودليلنا على فساد قول من قال : إن معنى الآية (هذا الذى رزقنا من قبل) أى فى الجنة . وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على

فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله (وأتوا به متشابها) إن الله سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم (هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) .

(قلت) وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم . وقال (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب . متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) وقال تعالى (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) وهذا يدل على أنهم من انقطاعها ومضرتها . وقال تعالى (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة) وقال تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا تكون فى وقت دون وقت . ولا تمنع ممن أرادها ، وقال (فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية) والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف ، والقطاف بالفتح الفعل أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب يتناول الثمرة وهو نائم . وقال تعالى (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) قال ابن عباس إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد . وقال غيره : قريب إليهم مذللة كيف شاؤا ، فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين فيكون كقوله (قطوفها دانية) ومعنى تذليل القطف تسهيل تناوله . وأهل المدينة يقولون ذلل النخل أى سو عروقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها وفى نصب دانية وجهان (احدهما) انه على الحال عطفا على قوله متكئين (الثانى) انه صفة الجنة . وقال تعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) وفى الجنتين الأخريين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة المؤمنين إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها واحلاها . وقد قال تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) .

وقال الطبرانى حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا على بن المدينى حدثنا ريحان بن سعيد عن عبادة ابن منصور عن ايوب عن ابى قلابة عن إسماعيل عن ثوبان قال: قال رسول الله (ص) «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها اخرى » وقال عبد الله بن الإمام احمد حدثنى عقبة بن مكرم العمى حدثنا ربعى ابن ابراهيم بن علية حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن ابى موسى قال قال رسول الله (ص) اهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعلمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير انها تغير وتلك لا تغير » وقد تقدم ان سدرة المنتهى نبقها مثل القلال .

وفى صحيح مسلم من حديث ابى الزبير عن جابر عن النبى (ص) قال : « عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفا اخذته » وفى لفظ « فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدى » وقال

أبو خيثمه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: « بينما نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب يارسول الله صنعت اليوم فى صلاتك شيئا ما كنت تصنعه . قال إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه » .

وقال ابن المبارك أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، اشد بيضا من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيه عجم » وقال سعيد بن منصور حدثنا شريك عن أبى أسحاق عن البراء بن عازب قال : « ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أى حال شاؤا .

وقال البزار فى مسنده حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى قال حدثنى كريب إنه سمع أسـامة بن زيد يقول قال رسول الله ﷺ : « ألا مشمر للجنـة فإن الجنة لا خطر لها . هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانه تهتز ، وقصر مشيد ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبدا فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية ، قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال قولوا إن شاء الله قال القول انشاء الله » قال البزار وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبى ﷺ إلا أسامة ولا نعلم له طريقا عن اسامة إلا هذا الطريق ، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر ، وفى حديث لقيط بن صبره الذى رواه عبد الله ابن أحمد فى مسند أبيه وغيره « قلت يارسول الله ما يطلع أهل الجنة ؟ قال على أنهار من عسل مصفى ، وانهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه ، واما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة » قال الحسن وابو العالية هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فتشمه .

الباب السادس والأربعون

(فى زرع الجنة)

قال تعالى : « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » وعن ابى هريرة إن النبي ﷺ كان يحدث يوما وعنده رجل من اهل البادية : « ان رجلا من اهل الجنة استأذن ربه عز وجل فى الزرع فقال له اولست فيما اشتهيت ؛ فقال بلى ولكنى احب ان ازرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره امثال الجبال فيقول الله عز وجل دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي يا رسول الله لا تجد هذا الاقرشيا او انصاريا فإنهم اصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ،فضحك رسول الله(ص) » رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب تعالى مع اهل الجنة وخرجه فى غيره ايضا وهذا يدل على ان فى الجنة زرعا وذلك البذر منه ،وهذا احسن ان تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه فى الزرع فأخبره انه فى غنية عنه ؛ قيل لعمله استأذنه فى زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان فى غنية عنه وقد كفى مؤنته ولا اعلم ذكر الزرع فى الجنة إلا فى هذا الحديث والله اعلم .

وروى إبراهيم بن الحكم عن ابيه عن عكرمة قال بينما رجل فى الجنة فقال فى نفسه لو ان الله يأذن لى لزرعت ، فلا يعلم إلا والملائكة على ابوابه فيقولون سلام عليكم . يقول لك ربك تمنيت فى نفسك شيئا فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر . فيقول ابذروا فيخرج امثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه : كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع . والله اعلم .

الباب السابع والأربعون

(فى ذكر انهار الجنة وعيونها واصنافها ومجراها الذى تجرى عليه)

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الأنهار) وفى موضع (تجرى تحتها الأنهار) وفى موضع (تجرى من تحتهم الأنهار) وهذا يدل على امور (احدها) وجود الانهار فيها حقيقة (الثانى) انها جارية لا واقفة (الثالث) انها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى انهار الدنيا : وقد ظن بعض المفسرين ان معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤا ، وكأن الذى حملهم على ذلك انه لما سمعوا ان انهارها تجرى فى غير اخدود فهى جارية على وجه الأرض ـ حملوا قوله (تجرى من تحتها الأنهار) على انها تجرى بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء اوتوا من ضعف

الفهم ، فان أنهار الجنة وإن جرت فى غير أخدود فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال « الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم » فهذا على ما هو المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون « وهذه الأنهار تجرى من تحتى » وقال تعالى « فيهما عينان نضاختان » قال ابن أبى شيبة حدثنا يحيى بن يمان عن أشعب عن جعفر عن سعيد قال « نضاختان بالماء والفواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبى اسحـــاق عن أبان عن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ينضخـان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا . وحدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبى اسحاق عن البراء قال اللتان تجريان أفضل من النضاختان وقال تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا . فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا ، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها . وآفة العسل عدم تصفيته . وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة فى الدنيا باجرائها ويجريها فى غير أخدود وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والانزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لايطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف فى نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهى كريهة المذاق وهى رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزى والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بانقص نوع الانسان وهم المجانين وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، تسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته أوهلاكه ومؤاخاة الشياطين فى تبذير المال الذى جعله الله قياما له ولم يلزمه مؤنته وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم ، ومدمنها كعابد وثن ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة ، وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة . ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبـــه ، وكم

أورثت من حسرة وأجرت من عبرة ، كم أغلقت فى وجه شاربها بابا من الخير ، وفتحت له بابا من الشر، وكم أوقعت فى بلية وعجلت من النية وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ، وجرت عليه من سفلة ، فهى جماع الاثم ومفتاح الشر ، وسلابة النعم وجالبة النقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لاتجتمع هى وخمر الجنة فى جوف عبد كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة » لكفى . وآفات الخمر أضعاف أضعاف ماذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة فان قيل فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجارى لايأسن فما فائدة قوله غير آسن؟ قيل الماء الجارى وإن كان لايأسن فانه اذا أخذ منه شىء وطال مكثه أسن . وماء الجنة لايعرض له ذلك ولوطال مكثه ماطال ، وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس ، فهذا لشربهم وطهورهم وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم

(فصـــل)

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله علية وسلم أنه قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذاسألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجرأنهار الجنة » وروى الترمذى نحوه منحديث معاذ بنجبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة «الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مسيرة مائه عام والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها فان سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى » وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة » وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « رفعت إلى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة « يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ياجبريل ماهذا . قال أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات » وفى صحيحه أيضا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا أسير فى الجنه إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك . قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر » وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل » وقال محمد بن عبد الله الإنصارى حدثنا حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دخلت الجنة فإذا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى مايجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر ، فقلت لمن هـذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل » قال الترمذى حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه احلى من العسل ، وأبيض من الثلج » قال هذا حديث حسن صحيح وقال أبو نعيم الفضـــل حدثنا أبو جعفر هو الرازى حدثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد (إنا أعطيناك الكوثر) قال الخير الكثير ، وقال أنس بن مالك : نهر فى الجنة وقالت عائشة هو نهر فى الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ، وهـذا معناه والله أعلم أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل أصبعيه فى أذنيه ، وفى جامع الترمذى من حديث الحريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد » قال هذا حديث حسن صحيح وقال الحاكم حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله عن أبى هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، ومن سره أن يكسيه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، وانهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان مايحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا » وذكر الاعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: « إن أنهار الجنـة تفجر من جبل مسك » وهذا موقوف صحيح وذكر ابن مردويه فى مسنده حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هـذه الأنهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعص أنهارا » وقال ابن أبى الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيدة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الحريرى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال « أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود فى الارض ألا والله إنها لسائحة على وجه الارض إحدى حافتيها اللؤلؤ والاخرى الياقوت ، وطينها المسك الاذفر ، قال قلت ما الاذفر قال الذى لاخلط له » ورواه ابن مردوية فى تفسيره عن محمد بن احمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحي حدثنا مهدى بن حكيم حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الحريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ

فذكره هكذا رواه مرفوعا وقال أبو خثيمة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر) فقال رسول صلى الله عليه وسلم : « أعطيت الكوثر فإذا هو يجرى ولم يشق شقا . وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » وذكر سفيان الثورى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن مسروق فى قوله تعالى : « وماء مسكوب » قال أنهار تجرى فى غير أخدود قال « ونخل طلعها هضيم » قال من أصلها إلى فروعها أو كله نحوها . وفى صحيح مسلم حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن على عن مقاتل بن حبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهر العراق ، والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل ﷺ فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم ، فذلك قوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى (وإنا على ذهاب به لقادرون) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة » ورواه أحمد بن عدى فى ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة وبالجملة فهو من الضعفاء ، قال البخارى منكرا الحديث وقال النسائى متروك وقال أبو حاتم لا تشتغل به ، وقال عبد الله ابن وهب حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال . « إن فى الجنة نهرا يقال له البيدج عليه قباب من ياقوت تحته جوار يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدج فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه » ،

فصل

وأما العيون فقد قال تعالى : « إن المتقين فى جنات وعيون » وقال تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله ويفجرونها تفجيرا » قال بعض السلف معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم ، وقد اختلف فى قوله يشرب بها فقال الكوفيون الباء بمعنى من أى يشرب منها ، وقال آخرون بل الفعل مضمن ومعنى يشرب بها أى

يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته ، وهذا أصح وألطف وأبلغ ،وقالت طائفة الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا ، ونظير هذا التضمين قوله تعالى . (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) ضمن معنى يهم فعدى تعديته،وقال تعالى: «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا » فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم ويسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون » فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها قال في الكافور من البرد وطيب الرائحة وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ويجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله،والظاهر أن الكاس الثانية غير الأولى وإنهما نوعان لذيذان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور و(الثاني) مزج بزنجبيل وأيضا فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قال « وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان ، ونظيره قوله في آخر السورة «عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة » فهذه زينة الظاهر ثم قال « وسقاهم ربهم شرابا طهوراً » فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعرى وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضحى ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم ويزين ظواهرهم ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباسهم التقوى « وأخبر أنه خير اللباسين وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد

فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة ، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى ، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف : « فذلكن الذى لمتننى فيه » فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة ، وهذا كثير فى القرآن لمتأمله .

(الباب الثامن والأربعون)

(فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه)

قال تعالى : « إن المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون » وقال تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابية ، إنى ظننت أنى ملاق حسابية ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عالية ، قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » وقال تعالى . « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » وقال تعالى : «مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها » وقال تعالى : « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون، يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » وقال تعالى : « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس » ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جبر وفيه « قالوا فما بال الطعام ؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد » وفى المسند وسنن النسائى بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال « جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال نعم والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال تكون أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه » ورواه الحاكم فى صحيحه ولفظه « أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويقول لأصحابه إن أقر لى بهذا خصمته — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ، والذى

نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع فقال له اليهودى فان الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك ، فاذا البطن قد ضمر ، وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا » وقد تقدم حديث أنس فى قصة عبد الله بن سلام فى أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره وحديث أبى سعيد الخدرى « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة » وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا ابراهيم بن منقذ حدثنا إدريس بن يحى حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمى عن حذيفة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة طيرا أمثال البخاتى فقال أبو بكر أنها لناعمة يارسول الله ؛ قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها ياأبا بكر قال الحاكم وأنبأنا الأصم حدثنا يحى بن أبى طالب أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى : « ولحم طير مما يشتهون » قال ذكر لنا أن أبا بكر » قال « يارسول الله إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال من يأكلها أنعم منها وأنها أمثال البخاتى وأنى لأحتسب على الله أن تأكل منها ياأبا بكر ، وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب » قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس فى الأخرى وقال الدراوردى حدثنى ابن اخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول فى الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو نهر أعطانيه ربى أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها » تابعه ابراهيم بن سعيد عن ابن أخى ابن شهاب وقال فقال أبو بكر بدل عمر . وقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وكأس من معين » يقول الخمر لافيها غول يقول ليس فيها صداع وفى قوله تعالى : «ولاهم عنها ينزفون » يقول لاتذهب عقولهم وقوله تعالى : « وكأساً دهاقا » يقول ممتلئة وقوله « رحيق مختوم » يقول الخمر ختم بالمسك وقال علقمة عن ابن مسعود : (ختامه مسك) قال خلطه وليس بخاتم ثم يختم (قلت) يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ليس من الخاتم، وقال زيد بن معاوية سألت علقمة عن قوله تعالى « ختامه مسك » فقرأتها (خاتمه

مسك) فقال لى ليست خاتمة ولكن اقرأه (ختامه مسك)قال علقمةختامه خلطة ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب أن خلطه من مسك لكذا وكذا ، وذكر سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق الرحيق الخمر المختوم يجدون عاقبتها طعم المسك وبهذا الإسناد عن مسروق عن عبد الله فى قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » قال تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وكذلك قال ابن عباس يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لمن دونهم وقال مجاهد ختامه مسك يقول طينه وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ، ولفظ الآية أوضح منه وكأنه والله أعلم يريد ما يبقى فى أسفل الإناء من الدردى ، وذكر الحاكم من حديث آدم حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبى الدرداء فى قوله (ختامه مسك) قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيـــا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها ، قال آدم وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال « التسنيم اسم العين التى يمزج بها الخمر . وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وكأسا دهاقا) قال هى المتابعة الممتلئة قال وربما سمعت العباس يقول اسقنا وادهق لنا ، وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً » وعلى قوله : « ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا » فقالت فرقة سلسبيلا جملة مركبة من فعل وفاعل وسبيلا منصوب على المفعول أى سل سبيلا إليها ، وليس هذا بشىء وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة سلسه فهم يصرفونها حيث شاؤا وهذا من الاشتقاق الأكبر ، وقال مجاهد سلسة السيل حديدة الجرية وقال أبو العالية والمقابلان تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها ، وقال آخرون معناها طيبة الطعم والمذاق وقال أبو اسحاق سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة فسميت العين بذلك وقال ابن الأنبارى الصواب فى سلسبيل أنه صفة للماء وليس باسم للعين . واحتج على ذلك بحجتين (إحداهما) أن سلسبيلا مصروف ولو كان إسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية (الثانية) أن ابن عباس قال معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالا ، « قلت » ولا حجة له فى واحدة منهما ، أما الصرف فلاقتضاء رءوس الآى له كنظائره ، وأما قول ابن عباس فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلالة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر ، وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت مالا يعلمه البشر فإن قيل فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم

بأنه يشوى بـ «كن» ، وأجاب آخرون بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتى به إليهم ، والصواب أنه يشوى فى الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه كما قدر هناك أسبابا لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئا وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مجامرهم الالوة » و(المجامر) جمع مجمر وهو البخور الذى يتبخر بإحراقه و(الالوة) العود المطرى فأخبر بأنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته وقد أخبر سبحانه أن فى الجنة ظلالا والظلال لا بد أن تقى مما يقابلها فقال: « هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون» وقال «إن المتقين فى ظلال وعيون » وقال: « وندخلهم ظلا ظليلا » فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعى أسبابا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شىء ومليكه لا إله إلا هو ، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذى يفيض من جلودهم ، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه ، وكذلك جعل فى أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء،وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها ، فرب الدنيا والآخرة واحد ، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يختنقه فى الدنيا وفى الآخرة ، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة،وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر وذلك محض الجهل والظلم وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته فى هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته ، وليس هذا بأهون عليه من ذلك ولعل النشأة الأولى التى أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تأملها اللبيب ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها ولعل إخراج هذه الأشربة التى هى غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قىء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً فى الجنة بأسباب أخر،ولعل إخراج جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر ، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشىء منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها فى الجنة فى غير أخدود وبالجملة فتأمل آيات الله التى دعا عباده إلى التفكير فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من

ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء » وفى الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه فأتته امرأة فقالت يارسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فادخلت الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثنى عشر رجلا كان رسول صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم عليهم ثياب طلس(١) تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ فغمسوا فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر فأكلوا من ذلك البسر ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم ، فجاء البشير من تلك السرية فقال أصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال قصى رؤياك فقصتها وجعلت تقول جىء بفلان وفلان كما قال » رواه الإمام أحمد فى مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم .

---

(١) أى مطموسة عليها غبرة .

الباب الخمسون

(ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم)

قال تعالى : « إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين » وقال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك » قال جماعة من المفسرين السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه قالت طائفة ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به وقال تعالى : « ولباسهم فيها حرير » وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس ابن مالك وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف أنه لا يلبس الحرير فى الجنة ويلبس غيره من الملابس قالوا وأما قوله تعالى(ولباسهم فيها حرير) فن العام المخصوص وقال الجمهور وهذا من الوعيد الذى له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التى تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين وشفاعة من يأذن له الله فى الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة، وقال تعالى «وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » وقال « عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق » وتأمل ما دلت عليه لفظة « عاليهم » من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال ، وقد اختلف القراء السبعة فى نصب « عاليهم » ورفعه على قراءتين واختلف النحاة فى وجه نصبه هل هو الظرف أو على الحال على قولين واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والاستبرق أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب

على الظرف فإن عاليا لما كان بمعنى فوق أخرى مجراه ، قال أبو على وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة فجعل ظرفا كما كان قوله (والركب أسفل منكم) كذلك وكما قالوا هو ناحية من الدار . وأما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره لا يمنع من هذا إفراد عال وجمع الثياب لأن فاعلا قد يراد به الكثرة كما قال :

ألا إن جيراني العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومناوح

وقال تعالى : « مستكبرين به سامراً تهجرون » ومن رفع خضراً أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه : (أحدها) المطابقة بينهما فى الجمع ، (الثانى) موافقته لقوله تعالى : « ويلبسون ثياباً خضراً » ، (الثالث) تخلصه من وصف المفرد بالجمع ومن جر أجراً صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض ، وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضا وهو أن العرب تجىء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » وكقوله « كأنهم أعجاز نخل منقعر » ، فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد وإن كان فى معنى الجمع أولى . وفى استبرق قراءتان الرفع عطفا على ثياب ، والجر عطفا على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريبا فجمل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد بالأساور ، والأبدان بثياب الحرير . وقال تعالى : « إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير » ، واختلفوا فى جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وجهان أحدهما أنه عطف على موضع قوله من أساور والثانى أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول أى ويحلون لؤلؤا ، ومن جره فهو عطف على الذهب ثم يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد . قال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنى عتبة بن سعد قاضى الرى عن جعفر بن أبى المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال إن الله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلبا من حلى أهل الجنة أخرج الذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة ، حدثنا الحسن بن يحي بن كثير العنبرى حدثنا أبى عن أشعث عن الحسن قال : الحلى فى الجنة على الرجال أحسن منه على النساء . حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى بن لهيعة حدثنا يزيد بن أبى حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جسده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلا من

أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » وقال ابن وهب حدثنى ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبى هريرة قال أن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال : « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة. وعليهم تاج كتاج الملوك شباب مرد مكحلون » وقد أخرجا فى الصحيحين والسياق لمسلم عن أبى حازم قال: « كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه فقلت ياأبا هريرة ماهذا الوضوء ؟ فقال يابنى فروخ أنتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون زينة فى الساعد والمعصم لا فى العضد والكتف وأما قوله (فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) فهذه الزيادة مدرجة فى الحديث من كلام أبى هريرة لا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم بين ذلك غير واحد من الحفاظ ، وفى مسند الإمام أحمد فى هذا الحديث قال نعيم فلا أدرى قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل من كلام النبى صلى الله عليه وسلم أو شىء قاله أبو هريرة من عنده . وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الغرة لا تكون فى اليد لا تكون إلا فى الوجه وإطالته غير ممكنة إذ تدخل فى الرأس فلا تسمى تلك غرة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وقوله لا تبلى ثيابه الظاهر أن المراد به الثياب المعنية لا يلحقها البلى ، ويحتمل إن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما أنها لا ينقطع أكلها فى جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر والله اعلم . قال الإمام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا محمد بن أبى الوضاح حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال: « جاء أعرابى حرمى فقال يارسول الله أخبرنا عن الهجرة ؟ إليك أينما كنت ، أم لقوم خاصة أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيراً ثم قال أين السائل ؟ فقال ها هو ذا يارسول الله قال الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر، فقام آخر فقال يارسول الله أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجا ، قال فضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تضحكون من جاهل يسأل عالما !!

فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال ها هو ذا يا رسول الله . قال لا بل يشقق عنها ثمر الجنة » ثلاث مرات وقال الطبرانى فى معجمه حدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى والحسن بن على الفسوى قالا حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل ابن مرزوق عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها ، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء » وهذا الإسناد على شرط الصحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرجي بن عثمان السعدى حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها قال قلت يا رسول الله وما النصيف ؟ قال الخمار » وقال ابن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكىء فى الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت ؟ فتقول أنا المزيد ، وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وأن عليها التيجان ، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب . وروى الترمذى ذكر وأن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرو به . وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن إدريس الحنظلى حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عيـــاش عن سعيد ابن يوسف عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر . وإن شاء أسود . ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » قال ابن أبى الدنيا وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال « قلت لابن عباس ما حلل الجنة ؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ثم تنطبق ترجع كما كانت » قال وحدثنا عبد الله بن أبى خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى دراج أبو السمح أن

أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له : يارسول الله « طوبى لمن رآك وآمن بك فقال طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال له رجل وما طوبى ؟ قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » قال وحدثنى يعقوب ابن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبى المهزم قال قال أبو هريرة « دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان » قال وحدثنا حمزة ابن العباس حدثنا عبدالله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيدالله قال قال كعب : « لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم » وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هى أرق من شقيقكم هذا يرى مخ ساقها من وراء اللحم ، وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « أهدى أكيد ردومة إلى النبى صلى الله عليه وسلم جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها فقال لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا » وفى الصحيحين أيضا من حديث البراء قال : « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » ولا يخفى مافى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه فى الله لومة لائم : وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه . ووافق حكمه الذى حكم به حكم الله فوق سبع سمواته ، ونعاه جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم موته فحق له أن تكون مناديله التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك .

(فصـــل)

(ومن ملابسهم التيجان على رؤسهم)

ذكر البيهقى من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن اسماعيل بن رافع عن سعيد المقبرى وزيد بن أسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا ، فقال يارب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلانا كان يقوم فى

أناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول يارب فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول هل رضيت ؟ فيقول يارب أرغب له فى أفضل من هذا فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له هل رضيت ؟فيقول نعم يارب ، وذكر الإمام احمد فى المسند من حديث أبى بريدة عن أبيه يرفعه « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، ثم سكت ساعة ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفنى ؟ فيقول له ما أعرفك ، فيقول له القرآن أنا الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بم كسينا هذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود مادام يقرأ هذاً كان أو ترتيلا » (البطلة) السحرة (والغياية) ما أظل الإنسان فوقه . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم « تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) فقال إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضىء مابين المشرق والمغرب » .

(فصل)

وأما الفرش فقد قال تعالى : « متكئين على فرش بطائنها من استبرق » وقال تعالى : « وفرش مرفوعة » فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق وهذا يدل على أمرين (أحدهما) أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة قال سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى هبيرة بن مريم عن عبد الله فى قوله بطائنها من استبرق قال هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر ؟ (الثانى) يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة وقد روى فى سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم (فى قوله « وفرش مرفوعة » قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام) قال الترمذى حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قيل ومعناه إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها قلت رشدين بن سعد عنده مناكير قال

الدارقطنى ليس بالقوى وقال احمد لايبالى عمن روى وليس به بأس فى الرفاق وقال أرجو أنه صالح الحديث وقال يحيى بن معين ليس بشىء وقال أبو زرعة ضعيف وقال الجوزجانى : عنده مناكير ولا ريب أنه كان سىء الحفظ فلا يعتمد على ماينفرد به وقد قال بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى قوله « وفرش مرفوعة » قال مابين الفراشين كما بين السماء والأرض) وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم وقال الطبرانى حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب (فى قوله عزوجل « وفرش مرفوعة » قال مسيرة أربعين سنة) قال الطبرانى حدثنا ابراهيم بن نائلة حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلى حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى امامة قال . « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف » وفى رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبى الدنيا حدثنا إسحاق بن اسماعيل حدثنا معاذ ابن هشام قال وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبى أمامة (فى قوله عز وجل « وفرش مرفوعة » قال لو أن أعلاها سقط مابلغ أسفلها أربعين خريفاً) .

(فصـــل)

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » وقال تعالى : « فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » وذكر هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال (الرفرف) رياض الجنة (والعبقرى) عتاق الزرابى وذكر اسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » قال هى البسط قال وأهل المدينة يقولون هى البسط وأما النمارق فقال الواحدى هى الوسائد فى قول الجميع وأحدها نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة .

إذا مابساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمارقه

قال الكلبى وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض وقال مقاتل هو الوسائد مصفوفة على الطنافس وزرابى بمعنى البسط والطنافس وأحدها زربية فى قول جميع أهل اللغة والتعبير ومبثوثة مبسوطة منشورة .

(فصـــل)

وأما الرفرف فقال الليث ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة وقال أبو عبيدة الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل

وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط ورفرف

وقال أبو اسحاق قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد وقالوا الرفرف المحابس وقالوا فضول المحابس للفرش وقال المبرد هو فضول الثياب التى تتخذ الملوك فى الفرش وغيره قال الواحدى وكان الأقرب هذا لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التى تخاط فى أسفل الخبـــاء رفرفا ومنه الحديث فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم « فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة » قال ابن الاعرابى الرفرف ههنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفا « قلت » أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب فمنه الرفرف فى الحائط ومنه الرفرف وهـــو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الواحدة رفرفة ، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحه حـــول الشىء يريد أن يقع عليه ، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المجابس الواحدة رفرفة ، وكل ما فضل من شىء فثنى وعطف فهو رفرف (وفى حديث ابن مسعود ، فى قوله عزوجل : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » قال رأى رفرفا أخضر سد الأفق) وهو فى الصحيحين .

(فصـــل)

وأما العبقرى فقال أبو عبدة كل شىء من البسط عبقرى قال ويرون أنها أرض توشى فيها ، وقال الليث عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر فلم أر عبقريا يفرى فرية ، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلا منسوب إلى شىء رفيع وأنشد لزهير .

نخال عليها جبة عبقريه جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدى وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى وذلك أن العرب إذا بالغت فى وصف شىء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد .

« جن الندا رواسيا أقدامها » وقال آخر يصف امرأة

جنية ولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان

عبقر معروفا بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه اليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الاصل ، ثم صار العبقرى اسما ونعتا لكل ما بولغ فى صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله فى صفة عمر عبقريا وروى سلمه عن الفراء قال العبقرى السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب اليها غير الموشى وإنما ينسب اليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب اليها كل ما بولغ فى وصفه قال ابن عباس وعبقرى يريد البسط والطنافس وقال الكلبى هى الطنافس المجملة وقال قتـــادة هى عتاق الزرابى وقال مجاهد الديباج الغليظ وعبقرى جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابى بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابى دال على كثرتها وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وصف المسائد يدل على أنها مهيأة للاستناد اليها دائما ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت والله أعلم .

الباب الحادى والخمسون

(فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم)

قال تعالى . « حور مقصورات فى الخيام » وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان . « للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » فى لفظ لهما « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن » وفى لفظ آخر لهما أيضاً « الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون » وللبخارى وحده فى لفظ «طولها ثلاثون ميلا» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هى خيام فى البساتين وعلى شواطىء الأنهار وقال ابن أبى الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان قال : « ينشأ خلق الحور العين انشأ ، فأذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام » وقال بعضهم لما كن أبكاراً وعادة البكر أن تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بعلها ، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن فى خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه فى الجنة وقال ابن أبى الدنيا حدثنا اسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال . « لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبـــل ذلك »

لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات ، حور عين كأنهن بيض مكنون ، حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبدالله بن مسعود (فى قوله تعالى « حور مقصورات فى الخيام » قال در مجوف) وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمى عن قتادة عن خليد القصرى عن أبى الدرداء قال : «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة » قال ابن المبارك وأخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . «الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » وقال ابن أبى الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد « حور مقصورات فى الخيام قال فى خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة » حدثنى محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبى صالح عن ابن عبـــاس حور مقصورات فى الخيام قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل ، وذلك قوله « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب » والله أعلم

وأما السرر فقال تعالى : « متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين » وقال تعالى : « ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليهـــا متقابلين » وقال تعالى : « فيها سرر مرفوعة » فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض وأخبر أنها موضونه والوضن فى اللغة النضيد والنسج المضاعف يقال من وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون وقال الليث الوضن نسج السرير وأشباهه ويقـــال درع موضونة مقاربة النسج وقال رجل من العرب لامرأته ضنى متاع البيت أى قاربى بعضه من بعض قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها فى بعض وأنشدوا للأعشى .

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحى عيرا فعيرا

قالوا موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد قال هشيم أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال مرمولة بالذهب وقال مجاهد موصولة بالذهب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس موضونة مصفوفة وأخبر سبحانه أنها مرفوعة قال عطاء عن ابن عباس قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة وقال الكلبى طول السرير فى السماء مائة ذراع فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فاذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه .

(فصـــل)

(وأما الارائك) فهى جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس « متكئين فيها على الارائك » قال لا تكون أريكة حتى يكون السرير فى الحجلة فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة إلا والسرير فى الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة وقال مجاهد هى الأسرة فى الحجال قال الليث الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك وقال أبو اسحاق الارائك الفرش فى الحجال قلت ها هنا ثلاثة أشياء (أحدها) السرير و (الثانية) الحجلة وهى البشخانة التى تعلق فوقه و (الثالث) الفراش الذى على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله وفى الصحاح الاريكة سرير متخذ مزين فى قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الارائك وفى الحديث ان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم كان مثل زر الحجلة وهو الزر الذى يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم .

الباب الثانى والخمسون

(فى ذكر خدمهم وغلمانهم)

قال تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين » وقال تعالى : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً » قال أبو عبيدة والفراء مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط إنّه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل هو مخلد . وقال آخرون مخلدون مقرطون مسورون أى فى آذانهم القرطة وفى أيديهم الأساور وهذا اختيـــار ابن الاعرابى قال مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهى القرطة ، وروى عمرو عن أبيه خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهى القرطة ، وخلد إذا أسن ولم يشب ، وكذلك قال سعيـــد بن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (احداهما) أن الخلود عام لكل من دخل الجنة فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة (الحجة الثانية) قول الشاعر .

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون الخلد هو البقاء قال ابن عباس غلمان لا يموتون وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف وهو قول مجاهد والكلبى ومقاتل قالوا لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القراطة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه

باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفى كونه منثورا فائدتان (احداهما) الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم و (الثانى) أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا فى مكان واحد وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة انشاء على قولين؟ فقـال على بن أبى طالب والحسن البصرى هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم إذ الجنة لأولاد فيها قال الحاكم أنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا ابراهيم ابن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن (فى قوله « ولدان مخلدون » قال لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع » ومن أصحاب هذا القول من قال هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدما لأهل الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القـارى عن أبى حازم قال المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فاعطانيهم فهم خدم أهل الجنة » يعنى الأطفال قال الدارقطنى ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشى عن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهرى عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن اسحاق ضعيف قال ابن قتيبة واللاهون من لهيت عن الشىء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت وأصحاب القول الأول لا يقولون أن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها وإنما يقولون هم غلمان أنشأهم الله فى الجنة كما أنشأ الحور العين قالوا وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » رواه الترمذى والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلمانا كما قال تعالى : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » وهؤلاء غير أولادهم فإن من تمـام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم وقد تقدم فى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون » والمكنون المستور المصون الذى لم تبتذله الأيادى وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة ويطوف عليهم واعتبرتها بقوله ويطوف عليهم غلمان لهم وضممت ذلك إلى حديث أبى سعيد المذكور آنفا علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى فى الجنة خدما لأهلها والله أعلم .

الباب الثالث والخمسون

(فى ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذى وصفهن الله تعالى به فى كتابه)

قال تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله اليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شىء عليك وأيسره وجمع سبحانه فى هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه ، والأزواج جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الافصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله « اسكن أنت وزوجك الجنة » ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه وأما المطهرة فإن جرت صفة على الواحد فيجرى صفة على جمع التكسير اجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى « مساكن طيبة » وقرى ظاهرة » ونظائره ، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فظهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من ان تطمح به إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبى نظرة عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « لهم فيها أزواج مطهرة : قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن ، وقال ابن عباس أيضاً مطهرة من القذر والاذى ، وقال مجاهد لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن ، وقال قتادة مطهرة من الاثم والاذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التى لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله انى خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة وقال تعالى : « ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول

الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا والحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم الحوراء التى يحار فيها الطرف ، وعين حسان الاعين ، وقال مجاهد الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن الحوراء سديدة بياض العين شديدة سواد العين ، واختلف فى اشتقاق هده اللفطة فقال ابن عباس الحور فى كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة الحور البيض وقال مقاتل الحور البيض الوجوه وقال مجاهد الحور العين التى يحارفيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناطر وجهه فى كبد احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهدا من الاتماق وليست اللفطه مشتقة من الحيرة وأصل الحور البيــاض والتحوير التبييض والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين وفى الصحاح الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها إمرأة حوراء بينة الحور وقال أبو عمرو الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس فى بنى آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر وقال الاصمعى ما أدرى ما الحور فى العين قلت خالف أبو عمر وأهل اللغة فى اشتقاق اللفطه ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض فى سواد ، والحور فى العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر عين حوراء إدا اشتد بياض أبيضها وسواد اسودهـــا ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياضها لون الجسد والعين جمع عيناء وهى العطيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وإمرأة عيناء والجمع عين والصحيح ان العين اللاتى جمعت أعينهن صفـــات الحسن والملاحة ، قال مقاتل العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول ، وضيق العين فى المرأة من العيوب وإنما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع فمها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك ، ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع وجهها وصدرهـــا وكاهلها وهو ما بين كتفيها ، وجبهتها ، ويستحسن البياض منها فى أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها ويستحب السواد منها فى أربعة مواضع عينها وحاجبها وهدبها وشعرها ، ويستحب الطول منها فى أربعة قوامها وعنقها وشعرها وبنانها ويستحب القصر منها فى أربعة وهى معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها ، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله ، وتستحب الرقة منها فى أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها .

(فصـــل)

وقوله تعالى : « وزوجناهم بحور عين » قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال والعرب لاتقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ماقاله يونس وذلك قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها » ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام تميم تقول تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائى أيضاً وقال الأزهرى تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى : « وزوجناهم بحور عين » أى قرناهم وقال الفراء هى لغة فى ازدشنؤة قال الواحدى وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشىء زوجا لابمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فرداً فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج « قلت » ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم * وقال تعالى « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان » وصفهن سبحانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع (أحدها) هذا والثانى قوله تعالى فى الصافات « وعندهم قاصرات الطرف عين » (والثالث) قوله تعالى فى ص « وعندهم قاصرات الطرف أتراب » والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجود وأصله قاصر طرفهن أى ليس بطامح متعد قال آدم حدثنا ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله « قاصرات الطرف » قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ماهن متبرجات ولا متطلعات ، وقال منصور عن مجاهد قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، وفى تفسير سعيد عن قتادة قال وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الأتراب فجمع ترب وهو لذة الانسان قال أبو عبيدة وأبو اسحاق أقران أسنانهن واحدة ، قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد أتراب أمثال . قال أبو اسحاق

هن فى غاية الشباب والحسن وسمى سن الانسان وقرنه تربه (١) لأنه مس تراب الأرض معه فى وقت واحد والمعنى من الأحبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ، ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم وقد اختلف فى مفسر الضمير فى قوله فيهن فقالت طائفة مفسرة الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام وقالت طائفة مفسره الفرش المذكورة فى قوله « متكئين على فرش بطائنها من استبرق» وفى بمعنى على ، وقوله تعالى « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان » قال أبو عبيدة لم يمسهن يقال ماطمث هذا البعير حبل قط أى مامسه وقال يونس تقول العرب هذا جمل ماطمثه حبل قط أى مامسه وقال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم وفيه لغتان طمث يطمث ويطمث قال الليث طمثت الجارية إذا افترعتها والطامث فى لغتهم هى الحائض قال أبو الهيثم يقال للمرأة طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ماتحيض فهى طامث ، وقال فى قول الفرزدق :

حرجن إلى لم يطمثن قبلى وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه الفاظهم وهم مختلفون فى هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى انشئن فى الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً اخر ابكاراً كما وصفن قال الشعبى نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ انشئن خلقاً وقال مقاتل لأنهن خلقن فى الجنة ، وقال عطاء عن ابن عباس هن الآدميات اللاتى متن ابكاراً وقال الكلبى لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى انشئن فيه انس ولا جان قلت ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وانما هن من الحور العين ، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الانس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك قال أبو اسحق وفى هذه الآية دليل على أن الجن يغشى كما أن الانس يغشى ويدل على انهن الحور اللاتى خلقن فى الجنة انه سبحانه جعلهن مما أعده الله فى الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ويدل عليه أيضاً الآية التى بعدها وهى قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) ثم قال (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) قال الإمام أحمد والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور لأنهن خلقن للبقاء وفى الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور ان مؤمن الجن فى الجنة كما أن كافرهم فى النار وبوب عليه البخارى فى صحيحه فقال باب ثواب الجن وعقابهم ، ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن حبيب وقد سئل هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات

---

(١) بكسر السين والقاف والتاء ٠ ع

للجن ، وقال مجاهد فى هذه الآية إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير فى قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متكئين وهم أزواج هـؤلاء النسوة وقوله كأنهن الياقوت والمرجان) قال الحسن وعامة المفسرين أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان شبههن فى صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله ان المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بأن الله يقول (كأنهن الياقوت والمرجان ألا وان الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر .

(فصـــل)

وقال تعالى فى وصفهن (حور مقصورات فى الخيـــام) المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة خدرن فى الخيام وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم فى الخيام ، وهذا معنى قول من قال قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء « قلت » وهـذا معنى (قاصرات الطرف) لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله فى الخيام على هذا القول صفة لحور أى هن فى الخيام وليس معمولا لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات فى الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين ، وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أجمل فى الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن فى سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه ، فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها ، وأما مجاهد فقال مقصورات قلوبهن على أزواجهن فى خيام اللؤلؤ وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال .

(فصـــل)

وقال تعالى (فيهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهى مخففة من خيّرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه قال وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال : « لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها فى كل يوم من كل

باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات ،

(فصــــل)

وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عربا أترابا لأصحـــاب اليمين) أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لأن الفرش دلت عليهن إذ هى محلهن وقيل الفرش فى قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والازر وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر وقد تقدم تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها ، فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء لأنها محلهن غالبا قال قتادة وسعيد بن جبير خلقناهن خلقا جديدا وقال ابن عباس يريد نساء الآدميات وقال الكلبى ومقاتل يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعـــالى خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول فى الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع « هن عجائزكم العمش الرمض رواه الثورى عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشى عنه ويؤيده ما رواه يحى الحمانى حدثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه ؟ فقالت إحدى خالاتى قال أما إنه لا يدخل الجنة العجوز ، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم (انا أنشأناهن إنشاء) خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله ، ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهن إنشاء) » قال آدم بن أبى أياس حـــدثنا شيبان عن الزهرى عن جابر الجعفى عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله « إنا أنشأناهن إنشاء » قال يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا قال آدم وحدثنا المبارك بن فضـــالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة العجز فبكت عجوز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول (إنا أنشأناهن إنشاء) » وقال ابن أبى شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد ابن المسيب عن عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأيصار فقالت يا رسول الله أدع الله أن يدخلنى الجنة ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة ، فقال صلى الله عليه وسلم إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً » وذكر مقـــاتل قولا آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التى ذكرهن ، قيل أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة ،والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى فى الجنة انشاء ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه قد قال فى حق السابقين (يطوف

عليهم ولدان مخلدون بأكواب إلى قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأرواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن فى الجنة (الثانى) أنه سبحانه قال (إنا أنشأناهن إنشاء) وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثانى يقيده بذلك كقوله (وأن عليه النشأة الآخرى) وقوله (ولقد) علمتم النشأة الأولى (الثالث) أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) إلى آخره للذكور والإناث والنشأة الثانية أيضاً عامة للنوعين وقوله (إنا أنشأناهن إنشاء) ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين فى هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هى أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم وقوله (عربا) جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن قال ابن الإعرابى العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبو عبيدة العروب الحسنة التبعل « قلت » يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد هى العاشقة لزوجها وأنشد للبيد

وفى الحدوج (١) عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون فى تفسير « العرب » أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم وقال البخارى فى صحيحه عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة « والعرب » المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره فى كتاب بدء الخلق وقال فى كتاب التفسير فى سورة الواقعة عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفى قوله (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) اعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التى لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هى أيضاً .

(فصـــل)

وقال تعالى (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا) فالكواعب جمع كاعب وهى الناهد قال قتادة ومجاهد والمفسرون قال الكلبى هن الفلكات اللواتى تكعب ثديهن

(٢) الحدوج جمع حدج بكسر الحاء مراكب النساء . ع

وتفلكت وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب .

(فصـــل)

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهـــل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » وفى الصحيحين من حـــديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء ولـكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحـــدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » وقال الطبرانى حدثنا بكر ابن سهل الدمياطى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت : « قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال حور بيض عين ضخام العيون شقر الحوراء بمنزلة جناح النسر ، قلت أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهم لؤلؤ مكنون) قال صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى ، قلت يارسول الله احبرنى عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قلت يا رسول الله أخبرنى عن فوله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال رقتهن كرقة الجلد الذى رأيته فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقىء قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (عربا أترابا) قال هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات متحببات اترابا على ميلاد واحد ، قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضـــل أم الحور العين ؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة قلت يا رسول الله وبم ذلك ؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط ابدا ، طوبى لمن كنا له وكان لنا . قلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة

أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال يا أم سلمة انها تخير فتختار احسنهم خلقا فتقول أى رب أن هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ، تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاما ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال لا يعرف إلا بهذا السند . وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه « فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله قد شفعتك وأذنت لهم فى دخول الجنة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا باعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم ، فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل فى الدنيا يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكى قبلها . فبينا هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا إنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لامنى ولا منية إلا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما فى الجنة شىء أحسن منك وما فى الجنة شىء أحب إلى منك ، هذا قطعة من حديث الصور والذى تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه احمد ويحيى وجماعة وقال الدار قطنى وغيره متروك الحديث وقال ابن عدى عامة احاديثه فيها نظر وقال الترمذى ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدا يعنى البخارى يقول هو ثقة مقارب الحديث وقال لى شيخنا أبو الحجاج الحافظ هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم فى كتاب مفرد وما تضمنه معروف فى الأحاديث والله أعلم وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو ان دراجا حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ، رواه الترمذى ولكن دراج أبو السمح

بالطريق قال أحمد احاديثه مناكير وقال النسائى منكر الحديث وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائى أيضاً ليس بالقوى وساق له ابن عدى أحاديث وقال عامتها لايتابع عليها وقال الدار قطنى ضعيف وقال مرة متروك وأما يحي بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه وقال عثمان بن سعيد الدارمى عن على بن المدينى هو ثقة وقال ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان » قال : « ينظر إلى وجهه فى خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) وقال الفريابى أنبأنا أبو أيوب سليمان ابن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معـــدان عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن إمرأة إلا ولها قبل شهى وله ذكر لا ينثنى) قلت خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقى وهاه ابن معين وقال أحمد ليس بشىء وقال النسائى غير ثقة وقال الدار قطنى ضعيف وذكر ابن عدى له هذا الحديث مما أنكره عليه وقال أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حمويه حدثنا أحمد بن حفص حدثنى أبى حدثنى إبراهيم ابن طهمان عن الحجـــاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للمؤمن فى الجنـــة ثلاث وسبعون زوجة فقلنا يا رسول الله أوله قـــوة على ذلك قال إنه ليعطى قوة مائة رجل) قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدى وله مناكير والحجاج هو ابن ارطاة وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على الابار حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأنبأنا محمد ابن أحمد بن هشام بن حسان السنجرى ببغداد حدثنا عبد الله بن عمرو بن إبان قالا حدثنا حسين بن على الجعفى عن زائدة عن هشام ابن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال (قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا فى الجنة ؟ فقال إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء) قال الطبرانى لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفى قال محمد بن عبد الواحد المقدسى ورجال هذا الحديث عندى على شرط الصحيح وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يحي بن مسلم الرازى حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبى الحوارى وهو زيد العمى عن ابن عباس قال : (قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة كما نفضى إليهن فى الدنيا ؟ قال والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء) وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح وقال مرة لا شىء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطنى صالح وضعفه النسائى وقال السعدى متماسك قلت وحسبه رواية شعبة عنه

(فصــــل)

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس فى الصحيح زيادة على ذلك فان كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحـــد من السرارى زيادة على الزوجتين ويكونون فى ذلك على حسب منازلهم فى القلة والكثرة كالخدم والولدان وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح فلعل من رواه يفضى إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم فى عـــدد النساء بحسب تفاوتهم فى الدرجات والله أعلم ، ولا ريب أن للمؤمن فى الجنة أكثر من اثنتين لما فى الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً .

الباب الرابع والخمسون

(فى ذكر المادة التى خلق منهـــا الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن)

فاما المادة التى خلق منها الحور العين فقد روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة حدثنا شعبة حدثنا اسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الحور العين خلقن من الزعفران) قال البيهقى وهذا منكر بهذا الاسناد ولا يصح عن ابن علية (قلت) ولكنه حديث فيه شعبة وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا على بن الحسن بن هارون الأنصارى حدثنى الليث بن ابنة الليث عن أبى سليم قال حدثتنى عائشة بنت يونس إمرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خلق الحور العين من الزعفران) قال الطبرانى لا يروى إلا بهذا الاسناد تفرد به على بن الحسن بن هـــارون قلت وقد رواه اسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت سمعت زوجى ليث بن سليم يحـــدث عن مجاهد فذكره مرفوعا إليه وهو أشبه بالصواب ، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن

مجاهد عن ابن عباس قوله ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل إلى ابن عباس وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن (إن لولى الله فى الجنة عروسا لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران) وهذا مروى عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعيين وهما أبو سلمة ومجاهد وبكل حال فهى من المنشآت فى الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات والله أعلم وقد رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن زخر عن على بن زيد عن الهيثم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الاسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم حدثنا على بن محمد الطوسى حدثنا على بن سعيد حدثنا محمد بن اسماعيل الحسانى حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو منصور الابار عن انس يرفعه (لو أن حوراء بصقت فى سبعة أبحر لعذبت البحار منعذوبة فيها ، وخلق الحور العين من الزعفران (وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التى هى من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقه من مادة الزعفران الذى هناك !!! فالله المستعان ، وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع حدثنا حاس بن محمد الكلابى حدثنا سفيـــان الثورى حدثنا مغيرة حدثنا ابراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (يسطع نور فى الجنة فرفعوا رؤوسهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجـــه زوجها) وروى نعمة بن الوليد حدثنا بحر بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : ان من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئا إلا امطروا) قال يقول كثير لئن أشهدنى الله ذلك لأقولن أمطرنا بجوارى مزينات ، وقد روى فى مادة خلقهن صفة أخرى قال ابن أبى الدنيا حدثنا خالد بن سعيد عن خداش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى ان ابن عباس قال : (ان فى الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجوارى فاذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه ، وقال الليث ابن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن الوليد بن عبدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لجبريل يا جبريل قف بى على الحور العين فأوقفه عليهن فقال من أنتن ؟ فقلن نحن جوارى قوم كرام حلوا فلم يظعنوا ، وشبوا فلم يهرموا ، وتقوا فلم يدرنوا) وقال ابن المبـا ك أنبأنا يحى عن أيوب عن عبد الله بن زخر عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال . (كنا جلوسا مع كعب يوما فقال لو أن يدا من الحوردليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضىء الشمس لأهل الدنيا ثم قال إنما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله ! !) وفى مسند الإمام احمد من حديث كثير بن مرة عن معـــاذ بن جبل عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى إمرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا » وفى مراسيل عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الحور العين لأكثر عدداً منكن يدعون لأزواجهن يقلن اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين » ذكره ابن أبى الدنيا من حديث اسامة بن زيد عن عطاء عنه وذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال : (ان فى الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا ، بين عينيها مكتوب من كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى) وقال عطاء السلمى لمالك ابن دينار : (يا أبا يحيى شوقنا قال يا عطاء ان فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك) وقال أحمد بن أبى الحوارى حدثنى جعفر بن محمد قال لقى حكيم حكيما فقال أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال لا ، فقال فاشتق اليهن فان نور وجوههن من نور الله عز وجل ، فغشى عليه . فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً) وقال ربيعة ابن كلثوم نظر الينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : (يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين ؟) وقال لى ابن أبى الحوارى حدثنى الحضرمى قال (نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح فقلت يا أبا حمزة ما رقدت الليلة ، فقال إنى لما اضطجعت تمثلت لى حوراء حتى كأنى أحسست بجلدها وقد مس جلدى ، فحدثت به أبا سليمان فقال هذا الرجل كان مشتاقا) وقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول : (ينشأ خلق الحور العين إنشاء فاذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام) وذكر ابن أبى الدنيا عن صالح المرى عن زيد الرقاشى قال : (بلغنى أن نوراً سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه . فقيل ما هذا ؟ قال حوراء ضحكت فى وجه زوجها ، قال صالح فشهق رجل من ناحيه المجلس فلم يزل يشهق حتى مات) وقال ابن أبى الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربى عن عبد الملك الجونى عن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عباس يقول : (لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها ولو اخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض) وقال ابن أبى الدنيا حدثنى الحسين ابن يحيى وكثير العنبرى حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثورى قال : (سطع نور فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت فى وجه زوجها) ورواه الخطيب فى تاريخه من

حديث عبد الله بن محمد الكرخي قال حدثني عيسى بن يوسف الطباع حدثني حلس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها) وقال الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير : (إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة إلا وردت) وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير « ان الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طال ما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ؛ بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبي وأنا حبك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل)

﴿ الباب الخامس والخمسون ﴾

(في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذى والمني والضعف وأنه لا يوجب غسلا)

قد تقدم حديث أبي هريرة (قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال ان الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء) وان اسناده صحيح وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته : (ان للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا له فيها أهلون يطوف عليهم) وحديث أنس : (يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء) وصححه الترمذي وروى الطبراني وعبد الله بن احمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال (يا رسول الله على ما يطلع من الجنة ؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر الهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة (قلت) يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات قال الصالحات للصالحين تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذذكم ، غير أن لا توالد) وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال . (يا رسول الله انطأ في الجنة ؟ قال نعم والذي نفسي بيده دحما دحما (١) فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا) وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيق الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك

---

(١) دحما دحما بفتح الدال وسكون الحاء أى دفعا أى يطؤن بدفع وازعاج . ع

عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » قال الطبرانى لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به يعلى قال الطبرانى وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة حدثنا صدقة عن هاشم ابن زيد عن سليم بن أبى يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل « هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً » قال الطبرانى وحدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل « أيجامع أهل الجنة ؟ قال دحاً دحاً ولكن لا منى ولا منية » وهاشم وخالد وان تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله (لا منى ولا منية) أى لا انزال ولا موت وقال أبو نعيم حدثنا أبو على محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل : « هل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟ قال نعم والذى بعثنى بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع » وقال الحسن بن سفيان فى مسنده حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم . « هل ينكح أهل الجنة ؟ قال أى والذى بعثنى بالحق دحا دحا وأشار بيده ولكن لا منى ولا منية » وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة فى قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) قال فى افتضاض الأبكار وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهرانى ومحمد بن حميد قالا حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود فى قوله (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) قال شغلهم افتضاض العذارى وقال الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرنى شعيب عن الأوزاعى فى قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) قال شغلهم افتضاض الأبكار قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم ، وقال أبو الأحوص شغلوا بافتضاض الأبكار عن السرر فى الحجال وقال سليمان التيمى عن أبى مجلز قلت لابن عباس عن قول الله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) ما شغلهم ؟ قال افتضاض الأبكار وقال ابن أبى الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمى عن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (فى شغل فاكهون) قال فى افتضاض العذارى حدثنا أسحاق ابن ابراهيم حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر

عن سعيد بن جبير « إن شهوته لتجرى فى جسده سبعين عاما يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة» فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه ، وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه فى هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن أكل فى صحاف الذهب والفضة فى الدنيا لم يأكل فيها فى الآخرة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « انها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته فى الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف ، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله « أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال ما هذا ؟!! قال لحم اشتريته لأهلى بدرهم ، فقال أو كلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه !! أما سمعت الله تعالى يقول أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال : « قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن وربما وافقناها القلائد اليابسة قد دقت ثم أغلى بها وربما وافقناها اللحم العريض وهو قليل . فقال ذات يوم انى والله قد أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامى إنى والله لو شئت لكنت من أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عير قوما بأمر فعلوه فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من اوضع فى معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدا » والله أعلم .

الباب السادس والخمسون

(فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم)

قال الترمذى فى جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن عامر الأحول عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى » قال هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم فى هذا فقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا

روى عن طاووس ومجاهد وابراهيم النخعى وقال محمد يعنى البخارى قال اسحق بن ابراهيم فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ولكن لا يشتهى » قال محمد وقد روى عن أبى ذر بن العقيلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد » وأبو الصديق الناجى إسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس انتهى كلام الترمذى « قلت » اسناد حديث أبى سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جداً وتأويل اسحاق فيه نظر فإنه قال إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله فى ساعة فان ما لا يكون أحق بأداة لو كما ان المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا ، وقد قال أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال : « قيل يا رسول الله أيولد لأهل الجنة فان الولد من تمام السرور ؟ فقال نعم والذى نفسى بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه » حدثنا أبو الحسن على بن ابراهيم بن أحمد الرازى بمكة حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن ادريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص الأسدى قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة » وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الأحول وقال عمرو بن على عاصم الأحول وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى يرفعه « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد فى الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعه واحدة » قال البيهقى وهذا اسناد ضعيف بمرة وأما حديث أبى رزين الذى أشار اليه البخارى فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته قال عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه كتب إلى ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيرى كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به اليك فحدث به عنى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى حدثنى عبد الرحمن بن عابس المسمعى الأنصارى من بنى عمرو بن عوف عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دلهم وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطا خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك ابن عاصم بن مالك

بن المنتفق قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيبا فقال : « ألا أيها الناس إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم الا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ الا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال الا انى مسئول : الأهل بلغت ، الا اسمعوا تعيشوا ، الا اجلسوا ألا اجلسوا قال فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم انى أبتغى سقطه . فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ، وأشار بيده قلت وما هى ؟ قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما فى غد ما أنت طاعم غدا ولا تعلمونه ، وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب (١) قال لقيط قلت لن نعدم من رب يضحك خيرا ، وعلم يوم الساعه ، قلت يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التى تربوا علينا وخثعم التى توالينا وعشيرتنا التى نحن منها ، قال تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون مالبثتم ثم تبعث الصائحة لعمر الهك لا تدع على طهرها شيئاً إلا مات والملائكة الذين مع ربك عز وجل فأصبح ربك يطوف فى الأرضين وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء تهضب (٢) من عند العرش فلعمر الهك ما تدع على طهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه فيستوى جالسا فيقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يارب أمتنى اليوم ولعهده بالحياة عنية تحسبه حديثا بأهله فقلت يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ فقال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الأرض أشرفت عليها وهى مدرة بالية فقلت لا تحيا أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة (٣) ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر اليكم قال قلت يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر الينا وننظر إليه قال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون فى

---

(١) كذا (٢) تهضب أى أى تمطر ، والهضب المطر ويجمع على أهضاب . ع

(١) فى النهاية هكذا رواه بعضهم شربة بالياء أراد أن الأرض اخضرت بالنبات فكأنها حنظلة واحدة والرواية شربة بالباء الموحدة . اه .

رؤيتهما والعمر الهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما قلت يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قال نعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحد منكم منها قطرة فاما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحمم الأسود ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول حس (١) فيقول ربك أو إنه فيطلعون على حوض الرسول صلى الله عليه وسلم على اظماء والله ناهلة قط رأيتها فلعمر ربك ما يبسط واحد منكم يده الا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف (٢) والبول والاذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً قال قلت يا رسول الله فبم نبصر ؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الارض ثم واجهته الجبال قال قلت يا رسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئه بمثلها إلا أن يعفو ، قال قلت يا رسول الله ما الجنة ما النار ؟ قال لعمر الهك أن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما وإن الجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قال قلت يا رسول الله فعلا ما نطلع من الجنة ؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر الهك مما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة ، قلت يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم فى الدنيا ، ويلذذن بكم غير أن لا توالد قال لقيط فقلت أقصى ما نحن بالغون ومنتهون اليه فلم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علاما أبايعك فبسط النبى صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله الهاً غيره . قال قلت وان لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبى صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئا لا يعطينه . قال قلت نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على أمرىء الا نفسه فبسط يده وقال ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك قال فانصرفنا وقال ها ان ذين ها إن ذين لعمر الهك ان حدثت الا أنهما من اتقى الناس فى الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الجدارية أخو بنى بكر بن كلاب

---

(١) حس بفتح الحاء وتشديد السين مكسورة كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما (٢) فى النهاية : الطوف الحدث من الطعام والمعنى أن من شرب تلك الشربة طهر من الحدث والأذى وأنث القدح لأنه ذهب بها إلى الشربة اه.ع

من هم يا رسول الله ؟ قال بنو المنتفق أهل ذلك . قال فانصرفنا واقبلت عليه فقلت يا رسول الله هل لأحد مما مضى من حبر فى جاهليتهم ؟ قال قال رجل من عرض قريش والله ان أباك المنتفق لفي النار ، قال فكأنه قد وقع جزء من جلدى ووجهى ولحمى مما قال لأبى على رؤس الناس فهممت أن اقول وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت يا رسول الله وأهلك ؟ قال وأهلى لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل ارسلنى اليك محمد صلى الله عليه وسلم فابشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك فى النار ، قال قلت يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون الا اياه وكانوا يحسبونهم مصلحين قال ذلك بأن الله عز وجل بعث فى آخر كل سبع أمم نبيا فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين » هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف الا من حديث أبى القاسم عن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى ثم من رواية ابراهيم ابن حمزة الزبيرى المدنى عنه وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما فى الحديث احتج بهما الإمام محمد بن اسماعيل البخارى وروى عنهما فى مواضع من كتابه رواه أئمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام احمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى العاصم وأبو القاسم الطبرانى وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهانى وغيرهم على سبيل القبول والتسليم قال الحافظ أبو عبد الله بن منده روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعانى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقراوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم فى اسناده ، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول وقال أبو الخير بن حمدان هذا حديث كبير ثابت مشهور وسألت شيخنا أبا الحجاج المزى عنه فقال عليه جلالة النبوة وقال نفاة الا يلاد فهذا حديث صريح فى انتفاء الولادة وقوله إذا اشتهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به ، وإذا وإن كانت ظاهرة فى المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره قالوا وفى هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه (أحدها) حديث أبى رزين (الثانى) قوله تعالى : « ولهم فيها أزواج مطهرة » وهن اللاتى طهرن من الحيض والنفاس والأذى قال سفيان أنبأنا ابن أبى نجيح عن مجاهد مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمنى والولد وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول (الثالث) قوله غير أنه لا منى ولا منية وقد تقدم ، والولد إنما يخلق من ماء الرجل فاذا لم يكن هناك منى ولا مذى ولا نفخ فى الفرج لم يكن هناك إيلاد (الرابع) انه قد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه-

قال يبقى فى الجنة فضل فينشىء الله لها خلقا يسكنهم إياها ولو كان فى الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم (الخامس) أن الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى فلو كانت النساء يحبلن فى الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والانزال (السادس) أن الله سبحانه قدر التناسل فى الدنيا لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرنا بعد قرن وجعل لهم أمدا ينتهون اليه فلولا التناسل لبطل النوع الإنسانى ولهـذا الملائكة لا تتناسل فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنسانى إذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار (السابع) أنه سبحانه وتعالى قال (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بالحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم بهم فى الدنيا ولو كان ينشأ لهم فى الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا فى الدنيا لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم كما هى بذرياتهم من أهل الدنيا (الثامن) إنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيهـا لا إلى غاية أو إلى غاية ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى واستلزام الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ولا يمكن أن يقال بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك (التاسع) أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمو صرورة حتى يصير رجلا ومعلوم ان من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه (الوجه العاشر) أن الله سبحانه وتعالى ينشىء أهل الجنة نشأة الملائكة أو اكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم فهذا ما فى المسئلة ، فأما قول بعضهم إن القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين أن الجنة دار المكلفين التى يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهى فى كتب الناس وبالله التوفيق قال الحاكم قال الأستاذ أبو سهل أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة وقد روى فيه غير اسناد وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة عين وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة ، فإن قيـل ، ففى الحديث أنهن

لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد ؟ » قلت ، الحيض سبب الولادة الممتد مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه كما أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه وهـذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعه البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد !! انتهى كلامه » قلت ، النافون للولادة فى الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبى رزين » غير أن لا توالد » وقد حكينا من قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف فى ذلك قولين وحكى قول أبى اسحاق بانكاره وقال أبو أمامة فى حديثه » غير أن لا منى ولا منية ، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقـــامه » وحديث أبى سعيد الخدرى هذا أجود اسانيده اسناد الترمذى وقد حكم بغرابته وانه لا يعرف إلا من حديث أبى الصديق الناجى وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد ، وتارة أنه ليشتهى الولد ، وتارة أن الرجـــل من أهل الجنة ليولد له ، فالله أعلم فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو الحق الذى لا شك فيه وهذه الألفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض وحـديث أبى رزين غير أن لا توالد إذ ذاك نفى للتوالد المعهود فى الدنيا ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه فى ساعة واحدة فهذا ما انتهى اليه علمنا القاصر فى هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده فى غير هـذا الـكتاب والله أعلم .

الباب السابع والخمسين

(فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة)

قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) قال محمد بن جرير حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا عامر بن نساف قال سألت يحيى بن أبى كثير عن قوله عز وجل (فهم فى روضة يحبرون) قال الحبرة اللذة والسماع ، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير فى قوله يحبرون قال السماع فى الجنة ولا يخالف هـــذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد وقتـــادة ينعمون فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم وقال الترمذى حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن على

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكن له » وفى الباب عن أبى هريرة وأبى سعيد وأنس وحديث على حديث غريب قلت وفى الباب عن ابن أبى أوفى وأبى أمامة وعبد الله بن عمر أيضاً فأما حديث أبى هريرة فقال جعفر الفريابى حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبى عبد الرحمن عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : « ان فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون فى الجنة لذة مثلها ، فقلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال ان شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل » هكذا رواه موقوفا وروى أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث مسلمة ابن على عن زيد بن واقد عن رجل عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شىء قط ألذ منه » (وأما حديث أنس) فقال أبو نعيم أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن عون بن الحطاب عن عبد الله بن رافع عن أبى الاسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحور العين يغنين فى الجنة يقلن نحن الحور الحسان خلقن لا زواج كرام » ورواه ابن أبى الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبى ذئب عن أبى عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره (وأما حديث ابن أبى أوفى) فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى البلخى حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبى ثور حدثنى سعد الطائى عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبى أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن باصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكن له » (وأما حديث أبى أمامة) فقال جعفر الفريابى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان » (وأما حديث ابن عمر) فقال الطبرانى حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة

بن موسى بن الفرات المصرى حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين به نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعين ، وان مما يغنين به نحن الخالدات فـــلا نمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيمات فلا نظعنه » قال الطبرانى لم يروه عن زيد بن أسلم الا محمد تفرد به ابن أبي مريم وقال ابن وهب حدثنى سعيد بن أبي أيوب قال وقال رجل من قريش لابن شهاب هل فى الجنة سماع فإنه حبب إلى السماع ؟ فقال أى والذى نفس ابن شهاب بيده ان فى الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بأغان يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً فاجبن الجوارى فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر » قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ان الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام ، ونحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نطعن ، فى صدر احداهن مكتوب أنت حبى وأنا حبك انتهت نفسى عندك لم تر عيناى مثلك » وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعى حدثنا يحي بن أبي كثير « إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبى وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل »

(فصـــل)

(ولهم سماع أعلى من هذا)

قال ابن الدنيا حدثنى دهثم بن الفضل القرشى حدثنا دواد بن الجراح عن الأوزاعى : « قال بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ فى السماع فما يبقى ملك فى السموات الا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل وعزتى لو يعلم العباد قدر عظمتى ما عبدوا غيرى » وحدثنى داود بن عمر الضبى حدثنا عبد الله ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتحميدى » وقال ابن أبي الدنيا

حدثنى محمد بن الحسن حدثنى عبد الله بن أبى بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار فى قوله عز وجل (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال إذا كان يوم القيـــامة أمر بمنبر رفيع فوضع فى الجنة ثم نودى يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البنانى وحجـــاج الأسود عن شهر بن حوشب قال : « ان الله جل ثناؤه يقول للملائكة ان عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا فيدعونه من أجلى فأسمعوا عبادى فيأخذون بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط » وقال عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب الزهد لأبيه حدثنى على بن مسلم الطوسى حدثنى سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار « فى قوله عز وجل (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول إلهى كيف أمجدك وقد سلبتنيه فى دار الدنيا ؟ قال فيقول الله عز وجل فانى أرده عليك قال فيرده عليه فيزداد صوته قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة » وقال ابن أبى الدنيا حدثنـــا مسلم بن إبراهيم الحرانى حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة قال . « ان فى الجنة شجرة ثمرهـا زبرجد وياقوت ولؤلؤ فيبعث الله ريحا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها » حدثنا أبو بكر بن يزيد وابراهيم ابن سعيد قالا حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال . « فى الجنة شجرة على ساق قـــدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم فيذكر لهو الدنيـا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا » حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا على بن عاصم حدثنى سعيد بن سعيد الحارثى قال حدثت « أن فى الجنة آجاما من قصب من ذهب حملهـــا اللؤلؤ فاذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه »

(فصـــل)

ولهم سماع أعلى من هـذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه من قبل وسيمر بك أيها السنى من الأحاديث الصحاح والحسان فى ذلك ماهو من أحب سماع لك فى الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس فى الجنة لذة أعظم من النظر إلى

وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة قال : « إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجدوالذهب والزمرذ فلم تقر أعينهم بشىء ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد » .

الباب الثامن والخمسون

فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن على حدثنا المسعودى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل فى الجنة من خيل ؟ قال إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت ، قال وسأله رجل فقال يارسول الله هل فى الجنة من إبل ؟ قال فلم يقل ماقال لصاحبه قال إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك » حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه وهذا أصح من حديث المسعودى حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة الاحمسى حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب قال : « أتى النبى صلى الله عليه وسلم أعرابى فقال يارسول الله إنى أحب الخيل أفى الجنة خيل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت » قال الترمذى هذا حديث إسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبى أيوب إلا من هذا الوجه وأبو سورة هو ابن أخى أبى أيوب يضعف فى الحديث ضعفه ابن معين جداً وسمعت محمد ابن اسماعيل يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير عن أبى أيوب لايتابع عليه « قلت » أما حديث علقمة بن مرثد فقد اضطرب فيه علقمة فمرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال : « كنت أحب الخيل فقلت هل فى الجنة خيل يارسول الله » ومره يقول قال رجل من الأنصار يقال له عمير ابن ساعدة يارسول الله ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى لأن سفيان أحفظ منه وأثبت ، وقد رواه

أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة «أن أعرابياً قال يا رسول الله أفي الجنة إبل؟ قال يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ماتشتهي نفسك وتلذ عينك» ورواه أيضاً من حديث علقمة عن يحي بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال والفردوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال يارسول الله إني رجل حبب إلى الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال أي والذي نفسي بيده ان في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين حلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاؤا، فقام إليه رجل فقال يا رسول الله إني حبب إلى الإبل، وذكر الحديث وأما حديث أبي سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره وغير يحي بن جابر الطائي وقد أخرج له أبو داود حديث «ستفتح عليكم الأمصار وتجندون أجنادا» وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل لحيته» وحديثا آخر في تفسير قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذي حديث «خيل الجنة» فقط ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: «ان أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل» وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان بن معاوية عن أبي الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم حيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار فاذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار تعالى: ارفعوا رؤسكم فان هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رؤسهم فيمطر الله عليهم طيبا فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم حتى انهم ليرجعون إلى أهليهم وانهم لشعث غبر» وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب»

الباب التاسع والخمسون

(في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا)

قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون. قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في

سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمـــة ربى لـكنت من المحضرين) فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعص يتحدثون ويسأل بعصهم بعضـــا عن أحوال كانت فى الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم إنى كان لى قرين فى الدنيا ينـكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه يقول . أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابا وعظاما ثم يقول المؤمن لاخوانه فى الجنة هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هـذا وما صار اليه ، هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران (أحدهما) أن الملائـكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضا هل أنتم مطلعون رواه عطاء عن ابن عباس (والثانى) انه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم هل أنتم مطلعون والصحيح القول الأول وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب « بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك الـكوى » (وقوله) فاطلع أى أشرف قال مقاتل لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون قالوا له أنت أعرف به منا فاطلع أنت فاشرف فرأى قرينه فى سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه اياه لما عرفه لقـد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمـة ربى لـكنت من المحضرين أى ان كدت لتهلـكنى ولولا أن أنعم الله على بنعمتـــه لـكنت من المحضرين معك فى العذاب وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبـل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هـو البر الرحيم) وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهـــل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامـة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيتزاور أهل الجنة ؟ قال يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفـل الأعلى إلا الذين يتحابون فى الله يأتون منها حيث شاؤا على النوق محتقبين الحشـــايا » (١) وقال الدورقى حدثنا أبو سلمة التبوذكى حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى » وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحي بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى ايوب يرفعه « إن أهـل الجنة يتزاورون على النجائب » وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضا

(١) أى جعلوا وراءهم الفرش ، والحشايا الفرش واحدها حشية

وبذلك تم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله « كيف أصبحت يا حارثه ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا ، قال ان لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال عزفت (١) نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأنى أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يعذبون فيها ، فقال عبد نور الله قلبه » وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الاخوان بعضهم إلى بعض قال فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا » قال وحدثنى حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قال حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة انهم يتزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون امطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقهم وفى رؤوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى فأذا المرأة تنادى بعض أولئك يا عبد الله أمالك فينا حاجة ؟ فيقول ما أنت ومن أنت ؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة أو ما علمت أن الله قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة » حدثنى حمزة أنبأنى عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثنى ابن أنعم أن أبا هريرة قال « إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون (٢) عليها رحال الميس (٣) تثير مناسمها (٤) غبار المسك »

---

(١) عزفت نفسى عن الدنيا أى كرهتها وعافتها وروى عزفت بضم التاء أى منعتها وصرفتها . ع

(٢) هى الإبل البيض مع سواد يسير واحدها أعيس وعيساء (٣) الميس شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها (٤) أى اخفافها . ع

خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها ، وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هـــذه الآية (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) قال هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب أعناقها السندس والاستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون فى الجنه على خيول يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه يضحك الله اليهم وإذا ضحك الله إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه ، قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل ابن جعفر بن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن على عن على قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن فى الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم درجة يارب بمـــا بلغ عبادك هذه الكـرامة ؟ قال فيقال لهم كانوا يصلون فى الليل وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون »

(فصــــل)

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيمر بك ذكر هـذه الزيارة عن قريب ان شاء الله .

البـــاب الستون

(فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها)

قال مسلم فى صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن عفان

عن حماد بن سلمة وقال « فيها كثبان المسك فاذا خرجوا اليها هبت الريح » وقال ابن أبي عاصم فى كتاب السنة حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة « اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أو فيها سوق ؟ قال نعم ، أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون ان أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة وهل نرى ربنا عز وجل ؟ قال نعم ، قال هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا لا . قال فكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول بلى أفلم تغفرلى ، فيقول بلى فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه . قال فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط ، قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالى قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلا بحبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا » ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن اسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس فى هذا الاسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى فلا ينكر عليه تفرده عن الأوزاعى بما لم يروه غيره وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى هو ثقة وأما دحيم والنسائى فضعفاه ولا يعرف انه حدث عن غير الأوزاعى والترمذى قال فى هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه « قلت » وقد رواه ابن أبي الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى قال : نبئت ان سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة فذكره وقال الترمذى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية

أنبأنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها ، قال هذا حديث غريب وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال : « يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك فاذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن ، قال فيقلن لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا ، قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال « ان فى الجنة سوقا عليها كثبان مسك يخرجون اليها ويجتمعون اليها فيبعث الله ريحا فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا اليهم قد ازددتم حسنا بعدنا فيقولون لأهليهم قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا ، وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمى المعروف بمطين حدثنا احمد بن محمد بن طريف البجلى حدثنا أبى حدثنا محمد بن كثير حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر عن على بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال . « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين ان فى الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها ، والله أعلم .

الباب الحادى والستون

(فى ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى)

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه فى مسنده حدثنا ابراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الأزهر معاوية بن اسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكت (١) إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذه ؟ قال الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال ان ربك اتخذ فى الفردوس واديا افيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم القيامة انزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون

(١) الوكت جمع وكتة وهى الأثر فى الشىء . ع

فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتم وعـــدى فسلونى أعطكم ، فيقولون ، ربنا نسئلك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم ، ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة ، ولهذا الحديث طرق سنشير اليها فى باب المزيد ان شاء الله تعالى وروى أبو نعيم من حديث شيبان عن جسر بن فرقد عن الحسن عن أبى برزة الأسلمى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة ليغدون فى حلة ويروحون فى أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التى يأتون فيها ربهم عز وجل ، قال وروى جعفر بن جسر بن فرقد عن أبيه مثله وذكر أبو نعيم أيضاً من حديث أبى اسحاق عن الحارث عن على قال : « إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم ان الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبـارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم لستم فى دار عمل إنما أنتم فى دار جزاء ، وقال ابن أبى الدنيـا حدثنا أبو موسى اسحاق بن ابراهيم الهروى حدثنا القاسم بن يزيد الموصلى قال حدثنى أبو الياس قال حدثنى محمد بن على بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن على بن حنبش حدثنا ابراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى بن عمران وكان من خيار الناس قال حدثنى ادريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن على قال ادريس ثم لقيت محمد بن على بن الحسين بن فاطمة فحدثنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى لو سخر الجواد الراكب أن يسير فى ظلها لسار فيها مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياض صفر ، وأقتابها سندس واستبرق ، وثمرها حلل وصمغها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وترابها مسك وحشيشها زعفران ، منيع والالنجوج يؤججان من غير وقود ويتفجـــر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم ، فبينما هم يوماً يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباً جبلت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً ، وبرها خز أحمر ، ومرعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت

مفصصة باللؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقرى والأرجوان فأناخوا إليهم تلك النجائب ثم قالوا لهم إن ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه وينظر إليكم وتحيونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله انه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم انطلقوا صفا واحداً معتدلا لا يفوق منه شيء شيئا ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبتها ولا نركب ناقة بركت صاحبتها ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة ألا أتحفتهم بثمرها ورحلت لهم عن طريقهم، كراهية ان ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما دفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فى عظمته العظيمة فقالوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى إنى السلام ومنى السلام ولى حق الجلال والاكرام مرحبا بعبادى الذين حفظوا وصيتى وراعوا عهدى وخافونى بالغيب وكانوا منى على كل حال مشفقين قالوا وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا اليك كل حقك فائذن لنا بالسجود لك فقال لهم ربهم تبارك وتعالى إنى قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم أبدانكم فلطالما أتعبتم لى الأبدان وأعنيتم لى الوجـوه فالآن أفضيتم إلى روحى ورحمتى وكرامتى فاسألونى ما شئتم وتمنـوا على أعطكم أمانيكم فانى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى، فلا يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب حتى أن المقتصر فى أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم عز وجل لقد قصرتم فى أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم » ولا يصح رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وحسبه أن يكون من كلام محمد بن على فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وادريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدى وقال الدارقطنى متروك وأما أبو الياس المتابع له فلا يدرى من هو وأما القاسم بن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضاً ومثل هذا لا يصح رفعه والله أعلم وقال الضحاك فى قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال على النجائب عليها الرحال .

الباب الثانى والستون

(فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة)

قد تقدم فى حديث سوق الجنة انه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم

طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط . وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : « إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم ؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا » . وقال ابن أبي الدنيا حدثني أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفي اليماني قال سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال « إنهم يغدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم جمعة فتوضع لهم أسرة ، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه فاذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى . اطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي فيطعموا ثم يقول أسقوهم قال فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا فكهوهم فتجيء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاؤا ، ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وفكهوا اكسوهم فتجيء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر وكل لون لم تنبت إلا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا ، ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر ، ثم يقول عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي فاذا تجلى لهم فنظروا اليه نضرت وجوههم ، ثم يقال لهم ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزواجهم خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك ان الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا اليه فنضرت وجوهنا » . وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن ماتع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون امطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رؤسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله فاذا المرأة تنادي بعض أولئك يا عبد الله أما لك فينا من حاجة ؟ فيقول ما أنت ومن أنت ؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف اربعين خريفا ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم »

(فصـــل)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سبباً للرحمة والحياة فى هذه الدار ويجعله سبباً لحيـاة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الارض أربعين صباحاً مطرا متداركا من تحت العرش فينبتون تحت الارض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش (١) عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا ويثير لهم سحاباً فى الجنـــة يمطرهم ما شاؤوا من طيب وغيره ، وكذلك أهل النار ينشىء لهم سحابا يمطر عليهم عذابا إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابا أمطر عليهم عـــذابا أهلكم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب .

الباب الثالث والستون

(فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها)

قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملـكا كبيراً) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد « وملكا كبيراً قال عظيما وقال استئذان الملائـكة عليهم لا تدخل الملائـكة عليهم إلا بإذن وقال كعب فى قوله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملـكا كبيرا » يرسل اليهم ربهم الملائـكة فتأتى الملائـكة فتستأذن عليهم الملائـكة » وقال بعضهم الخدم ولا يدخل عليهم الملائـكة إلا باذن وقال الحـكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنـــة ثم تلا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملـكا كبيراً وقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول فى قوله عز وجل : «وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملـكا كبيراً » قال الملك الـكبير أن رسول الله يأتيه بالتحفة واللطف فلا يصل اليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب استأذن على ولى الله فانى لست أصل اليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن ، فالملك الـكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا باذن وهو يدخل على ربه بلا إذن ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المرى حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك يرفعه : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا

(١) الطش والطشيش المطر الضعيف وهو فوق الرذاذاه قاموس

زيد بن الحباب عن أبى هلال الراسبي أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدى عن عبـد الله بن معبد الزمانى عن أبى هريرة قال « إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه » وحدثنى محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبى هلال حدثنا حميد بن هلال : « قال ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن الاعلى عمل ليس عليه صاحبه » وحدثنى هارو بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : « ان العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ » حدثنى هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة قال : « ان أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنىء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه » وقال عبد الله بن المبارك حدثنا يحى بن أيوب حدثنى عبيد الله بن زحر عن محمد بن أبى أيوب المخزومى عن أبى عبد الرحمن المغافرى قال : « انه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه » وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء » وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثنى أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج قال جلست إلى أبى أمامة فقال : « إن المؤمن يكون متكئا على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فاذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول للذى يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف » وقال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا سليمان العنبرى عن الضحاك بن مزاحم قال : « بينا ولى الله فى منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للآذن استأذن لرسول الله على ولى الله فيدخل الآذن فيقول له يا ولى الله هذا رسول من الله يستأذن عليك قال ائذن له فيأذن له فيدخل على ولى الله فيضع بين يديه تحفة فيقول يا ولى الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه ، قال فيشبهه بطعام أكله أيضا فيقول انما أكلت هذا الآن فيقول ان ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة فى الجنـــة قال فذلك قوله تعالى

(وأتوا به متشابها) ، وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت ربى فيقول له لك ذاك ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت ربى » وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه (وقال البزار) فى مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : « خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرسها بيده وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوك » هكذا رواه وهيب عن الجريرى موقوفا ورواه عدى بن الفضل عن الجريرى فرفعه وقال البزار لا نعلم أحدا رفعه الا عدى بن الفضل بهذا الاسناد وعدى بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصرى قلت عدى بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه وقد ضعفه يحي ابن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف والله أعلم وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم وانما يلبسها الملوك .

الباب الرابع والستون

(فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال وان موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها)

قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لاتعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الاعين فى الجنة (وفى الصحيحين) من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك فى كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » وفى لفظ آخر فيهما « يقول الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على على قلب بشر ذخرا ، بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس الآية » وفى بعض طرق البخارى

« قال أبو هريرة : اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى قال : « شهدت مع النبى صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » (وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة ومحلة عالية بهية) ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها الا انه لا يسأل بوجه الله غيرها لكفاها شرفاً وفضلا كما فى سنن أبى داود من حديث سليمان بن معاذ عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يسأل بوجه الله الا الجنة » وفى معجم الطبرانى من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنه عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون » وفى صحيح البخارى من حديث سهل بن سعد قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » (وقال الامام احمد) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض » وهذا الاسناد على شرط الصحيحين وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو ان أقل ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب » قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الاسناد إلا من حديث ابن لهيعة وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبى حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قلت وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعنى ابن الحارث ان سليمان بن حميد حدثه ان عامر بن سعد بن أبى وقاص ابن سليمان لا أعلم الا انه حدثنى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لو

أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض ، وفى الباب عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكيف يقدر قدر دار عرسها الله بيده وجعلها مقراً لاحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فان سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران ، وان سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الاذفر ، وان سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر . وان سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب . وان سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل . وان سألت عن ورقها فاحسن ما يكون من رقائق الحلل . وإن سألت عن أنهارها فانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وان سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور . وان سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير . وان سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الاعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام . وان سألت عن تصفيق الرياح لاشجارها فانها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وان سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وان سألت عن سعتها فادنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام ، وان سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام . وان سألت عن علاليها وجواسقها فهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وان سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الافق الذى لا تكاد تناله الابصار . وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وان سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة فى أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهى الاسرة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال . وان سألت عن أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وان سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر . وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين . وان سالت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤا من الجنان . وان سالت عن حليهم وشارتهم فاساور الذهب واللؤلؤ على الرؤس ملابس التيجان . وإن سالت عن غلمانهم فولدان مخلدون

كأنهم لؤلؤ مكنون . وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الاتراب اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود . وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور . وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت . إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه فى صحن خدها كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها . لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحا ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيراً وتسبيحا ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولا غمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم . ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها اشهى اليه من جميع أمانيها ، لا تزداد على طول الاحقاب الا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها طول المدى الا محبة ووصالا ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الادناس ، لا يفنى شبابها . ولا تبلى ثيابها . ولا يخلق ثوب جمالها . ولا يمل طيب وصالها . قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لاحد سواه . وقصر طرفه عليها فهى غاية أمنيته وهواه . ان نظر اليها سرته . وان أمرها بطاعته اطاعته . وان غاب عنها حفظته . فهو معها فى غاية الأمانى والأمان ، هذا ولم يطمثها قبله انس ولا جان . كلما نظر اليها ملأت قلبه سرورا . وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومنثورا . وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً . وان سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب . وان سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر . وان سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور . وان سالت عن القدود فهل رأيت أحسن الاغصان . وان سالت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان وان سالت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان . وان سالت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان . اللاتى جمع لهن بين الحسن والاحسان . فاعطين جمال الباطن والظاهر . فهن أفراح النفوس وقرة النواظر . وان سالت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج . فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها . وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها . وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة . وان خاصرته فيالذة تلك المعانقة والمخاصرة .

وحديثها السحر الحلال لو أنه | لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى حدثت | ود المحدث انها لم توجز

وان غنت فيالذة الابصار والاسماع . وان آنست وأمتعت فياحبـذا تلك المؤانسة والامتاع . وان قبلت فلا شيء أشهى اليه من ذلك التقبيل . وان نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل * هذا وان سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه . وذلك موجود فى الصحاح والسنن والمسانيد . من رواية جرير وصهيب وأنس وأبى هريرة وأبى موسى وأبى سعيد . فاسمع يوم ينادى المناى يا أهل الجنه ان ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته فيقولون سمعاً وطاعة . وينهضون إلى الزيارة مبادرين فاذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادى الافيح الذى جعل لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحداً . أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة . وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنىء (١) على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم . نادى المنادى يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار . فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فاذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك اليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا ، فيقول يا أهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى . هـذا يوم المزيد فاسألونى . فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر اليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا ان الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا . ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى انه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا . فيقول يارب ألم تغفر لى ؟ فيقول بلى

(١) نسخة وحاشاهم من الدناءة . ع

بمغفرتي بلغت منزلتك هذه فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم فى الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة »

فحى على جنات عدن فانها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

(فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا اليهم)

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والضلالة وهى الغاية التى شمر اليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون . وتسابق اليها المتسابقون . ولمثلها فليعمل العاملون . إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون . وجميع الصحابة والتابعون . وأئمة الإسلام على تتابع القرون . وأنكرها أهل البدع المارقون . والجهمية المتهوكون (١) والفرعونية المعطلون . والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون . والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون . ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون . وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون . وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون . أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين . وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به فى زمانه ، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر اليه فقال له ربه تبارك وتعالى : « لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة (أحدها) أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسال ربه مالا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن ياكل

(١) أى المتحيرون الحمق . ع

ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟ !! (الوجه الثانى) أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه . ولهذا لما سال ابراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحي الموتى لم ينكر عليه . ولما سال عيسى بن مريم ربه انزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله . ولما سال نوح ربه نجاة ابنه انكر عليه سؤاله وقال « انى أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب انى أعوذ بك أن أسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين » (الوجه الثالث) أنه أجابه بقوله لن ترانى ولم يقل لا ترانى ولا انى لست بمرئى ولا تجوز رؤيتى والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تامله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه (الوجه الرابع) وهو قوله ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فاعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف (الوجه الخامس) ان الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول ان استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء (الوجه السادس) قوله سبحانه وتعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه إذا جاز ان يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله واوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه ؟ فاعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل اذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف (الوجه السابع) أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فانكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد ولهذا ساله موسى النظر اليه لما أسمعه كلامه وعلم نبى الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما ساله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه . وأما قوله تعالى « لن ترانى » فانما يدل على النفى فى المستقبل ولا يدل على دوام النفى ولو قيدت بالتابيد فكيف اذا أطلقت قال تعالى « ولن يتمنوه أبدا » مع قوله تعالى « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك » .

(فصـــل)

الدليل الثانى قوله تعالى : « واتقوا الله واعلموا انـكم ملاقوه » وقوله تعالى « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وقوله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه » وقوله تعالى « قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله » وأجمع أهل اللسان على ان اللقـاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب ان شاء الله تعالى (وفى هذه المسألة) ثلاثة أقوال لأهل السنة (أحدها) أن لا يراه الا المؤمنون (والثانى) يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك (والثالث) يراه المنافقون دون الكفار . والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه لهم ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه » ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطورا مثبتا . وان عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذى وعد به .

(فصـــل)

الدليل الثالث قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن والصحابة من بعده كما روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد ابن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنة وزيادة) قال إذا ادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هـــو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار !! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة » وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم ابن سالم البلخى عن نوح بن أبى مريم عن ثابت عن أنس قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا

الحسنى وهى الجنة والزيادة وهى النظر إلى وجه الله (وقال) محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله ، قلت عطاء هذا هو الخراسانى وليس عطاء بن أبى رباح قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت زهيرا ،وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » وقال أسد السنة ، حدثنا قيس بن الربيع عن ابان عن أبى تميمة الهجيمى انه سمع ابا موسى يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديا ينادى يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى والحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » وقال ابن وهب أخبرنى شبيب عن أبان عن ابى تميمة الهجيمى أنه سمع أبا موسى الاشعرى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يا مر يوم القيامة مناديا ينادى يا أهل الجنه بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن » .

(وأما الصحابة) فقال ابن جرير حدثنا ابن بسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدى حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر الى وجه الله الكريم . وبهذا الاسناد عن أبى اسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه ربهم تعالى . وحدثنا على بن عيسى حدثنا شبابة حدثنا أبو بكر الهذلى قال سمعت أبا تميمة الهجيمى يحدث عن أبى موسى الاسعرى قال : « اذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنه مناديا ينادى هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم ، فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن عز وجل ، وقال عبد الله ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى أنبأنا أبو تميمة قال سمعت أبا موسى الاشعرى يخطب الناس فى جامع البصرة ويقول : ان الله يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والانهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقى لكم شىء ان الله عز وجل يقول (للذين أحسنوا

الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعـالى . (وفى تفسير) أسباط بن نصر عن اسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) قالا أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر الى وجه الله وأما القتر فالسواد (وقال) عبد الرحمن بن أبى ليلى وعامر بن سعد واسماعيل بن عبـد الرحمن السدى والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو اسحاق السبيعى وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وقال غير واحد من السلف فى الآية « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » بعد النظر اليه والاحاديث عنهم بذلك صحيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليهـا ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى .

(فصـل)

(الدليل الرابع) قوله تعالى : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ووجه الاستدلال بها انه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعى نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبرانى وغيره عن المزنى قال سمعت الشافعى يقول فى قوله عز وجل : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة (وقال الحاكم) حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن ادريس الشافعى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول فى قول الله عز وجل « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فقال الشافعى لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على ان أولياءه يرونه فى الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال نعم وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى الله لما عبد الله عز وجل ،ورواه الطبرانى فى شرح السنة من طريق الأصم أيضا وقال أبو زرعة الرازى سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار ؟ فقال محمد بن عبد الله ليس يراه الا المؤمنون قال محمد وسئل الشافعى عن الرؤية فقال يقول الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ففى هذا دليل على ان المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل .

(فصـــل)

(الدليل الخامس) قوله عز وجل : « لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد » قال الطبرانى قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

(فصـــل)

(الدليل السادس) قوله عز وجل: « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » والاستدلال بهذا أعجب فانه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقدير وألطفه وقال لى أنا ألتزم انه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله الا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فان الله سبحانه انما ذكرها فى سياق التمدح ومعلوم أن المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وانما يمدح الرب تبارك وتعـــالى بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحيـــاة ونفى اللغوب والاعياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره . ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون اذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه . ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفى النسيان وعزوب شىء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته . ونفى المثـــل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فان المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه . فلو كان المراد بقوله « لا تدركه الابصار » انه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الابصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فاذا المعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى فى قوله « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة » انه يعلم كل شىء وفى قوله « ولا يظلم ربك أحدا » انه كامل العدل وفى قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) انه كامل القيومية فقوله « لا تدركه الأبصار » يدل على غاية عظمته وانه أكبر من كل شىء وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فان الادراك هو الاحاطة بالشىء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا » فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم

(انا لمدركون) إنا لمرئيون فان موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى ادراكهم اياهم بقوله كلا وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله (ولقد أوحينـــا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذى فهمه الصحابة والائمة من الآية قال ابن عباس : لا تدركه الأبصار ، لا تحيط به الأبصار قال قتادة هو أعظم من أن تدركه الأبصار وقال عطية (١) ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذ كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه (ونظير هذا) استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها والا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء انما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثـــل ، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه ، فقوله ليس كمثله شيء من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله لا تدركه الأبصار من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك وقوله (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فانه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته ، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ، ويحيط بهم علماً وقدرة وارادة وسمعا وبصرا ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتامل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فانه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصـــار وتحيط به ، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم فى لطفه ، اللطيف فى عظمته ، العالى فى قربه القريب فى علوه ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

---

(١) هو العوفى التابعى .

(فصــــل)

(الدليل السابع) قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وانت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحا أن الله سبحانه يرى عياناً بالابصار يوم القيامة ، وآن أبيت الا تحريفها الذى يسميه المحرفون تاويلا فتاويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تاويلها وتاويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض ان يتاول النصوص ويحرفها عن مواضعها الا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متاول مثل هذه النصوص ، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا ، وإضافه النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته باداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على ان المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بالى خلاف حقيقته ، وموضوعه صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى نفس الرب جل جـــلاله فان النظر له عدة استعمالات بحسب صـــلاته وتعديه بنفسه ، فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقتبس من نوركم) وان عدى نفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) وان عدى بالى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر ؟ !! قال يزيد بن هارون أنبانا مبارك عن الحسن قال نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره . فاسمع الآن أيها السنى تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الأسلام لهذه الآية (قال ابن مردويه) فى تفسيره حدثنا ابراهيم عن محمد حدثنا صالح ابن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبى فاختة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن ، إلى ربها ناظرة قال فى وجه الله عز وجل ، وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل ، وقال عكرمة وجوه يومئذ ناضرة قال من النعيم إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظرا ، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

(فصــــل)

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدرى وجرير بن عبد الله البجلى وصهيب

ابن سنان الرومى وعبد الله بن مسعود الهذلى وعلى بن أبى طالب وأبو موسى الاشعرى وعدى بن حاتم الطائى وأنس بن مالك الأنصارى وبريدة بن الحصيب الأسلمى وأبو رزين العقيلى ، وجابر بن عبد الله الأنصارى ، وأبو أمامة الباهلى . وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعمارة بن روية ، وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف ، وأبى بن كعب ، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ، ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غير مسمى ، فهاك سياق أحاديثهم من الصحـــاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين .

(فصـــل)

فاما حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحاق الطالقانى قال حدثنى النضر بن شميل المازنى قال حدثنى أبو نعامة قال حدثنى أبو هنيدة البراء بن نوفل عن دالان العدوى عن حذيفة عن أبى بكر الصديق قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبى بكر ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيأ لم يصنعه قط ، قال فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم انت أبو البشر وانت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ، قال لقد لقيت مثل الذى لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) قال فينطلقون إلى نوح صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فانت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا ، فيقول ليس ذلكم عندى انطلقوا إلى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله اتخذه خليلا فينطلقون الى ابراهيم فيقول ليس ذلكم عندى انطلقوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل كلمه تكليما فيقول موسى صلى الله عليه وسلم ليس ذلك عندى ، انطلقوا الى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فانه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيسى ليس ذلكم عندى ، انطلقوا إلى سيد ولد

آدم انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول له الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل صلى الله عليه وسلم فيخر ساجداً قدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال فيرفع رأسه فاذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع ، قال فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط ، فيقول أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ، ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه الخمسة والستة ، والنبي وليس معه احد ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، قال فاذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل وأنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيأ ، قال فيدخلون الجنة ، قال ثم يقول الله عز وجل انظروا فى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال فيجدون فى النار رجلا فيقولون له هل عملت خيراً قط فيقول لا غير انى كنت أسامح الناس فى البيع فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدى بسماحته الى عبيدى ثم يخرجون من النار رجلا يقول له هل عملت خيراً قط ؟ فيقول لا غير انى امرت ولدى إذا مت فأحرقونى فى النار ثم اطحنونى حتى اذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى الى البحر فأذرونى فى الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين ابدا فقال الله عز وجل له لم فعلت ذلك ؟ قال من مخافتك ، قال فيقول الله عز وجل انظر إلى ملك اعظم ملك فان لك مثله وعشرة امثاله ، قال فيقول اتسخر بى وانت الملك ، قال وذلك الذى ضحكت منه الضحى »

(فصــل)

واما حديث ابى هريرة وابى سعيد ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة « ان اناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ ، قالوا لا يارسول الله ؟ قال هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون ، فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا

مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو فاذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله ، فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا (١) فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أى رب اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحها (٢) وأحرقنى ذكاؤها (٣) فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسال غيره فيقول لا أسالك غيره ، فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب قدمنى إلى باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسالنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك !! فيقول أى رب فيدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسالنى غيره ؟ فيقول لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرورفسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسالنى غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ؟ فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له تمن فيسال ربه ويتمنى حتى ان الله ليذكره فيقول تمن

---

(١) يروى مبنيا للفاعل أى احترقوا والمحش احتراق الجلد وظهور العظم ويروى امتحشوا لما لم يسم فاعله (٢) أى سمنى وكل مسموم قشيب ومقشب يقال قشبتنى الريح بالتشديد وقشبتنى بالتخفيف (٣) الذكاء شدة وهج النار ويقال ذكت النار أى اشتعلت وذكيتها أى أتممت إشعالها . ع .

كذا وكذا حتى إذا إنقطعت به الأمانى قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه ، قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيأ حتى إذا حدث أبو هريرة قال ان الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه ، قال أبو سعيد أشهد انى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة » وفى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى « أن ناسا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله ؟ قال ما تضارون فى رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهودى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله ، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، قال فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين

وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس فى نار جهنم(١) حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة فى استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا ، فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً قط ، وكان أبو سعيد الخدرى يقول إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول لكم عندى أفضل من هذا ، فيقولون يا ربنا وأى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول تعالى رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

(فصل)

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس ابن أبى حازم عنه قال : « كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله (فسبح بحمد ربك

(١) أى مدفوع فيها يقال تكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط . ع

قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ، رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبيد الله بن إدريس الأزدي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وجرير بن عبد الحميد وعبد ابن حميد وهشيم بن بشير وعلى بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطحاوى ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح ابن حي وورقاء بن عمرو وعمار بن زريق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكرى وحسين بن واقد ومعمر بن سليمان وجعفر ابن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومندل بن على وأخوه سنان بن على وعمر ابن يزيد وعبد الغفار بن قاسم ومحمد بن بشير الحريرى ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلى بن القاسم الكندى وعبيد بن الأسود الهمدانى وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفى وعثمان بن على وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمى ومحمد بن يزيد الواسطى وعمرو بن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربى وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلام بن أبي مطيع وداود بن الزبرقان وحماد ابن أبي حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وعمرو بن سمر الجعفى وعمرو بن عبد الغفار التيمى وسيف بن هارون البرجمى أخو سنان ، وعابد بن حبيب ومالك بن سعير بن الخمس ويزيد بن عطاء مولى أبي عوانة وخالد بن يزيد العصرى وعبد الله بن موسى وخالد بن عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقى ومرجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم بن طهمان وخارجة بن مصعب وعبد الله ابن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروخ وزيد بن أبي أنيسة ، وجوده(١) فقال : « فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر » وأبو شهاب الخياط وقال « سترون ربكم عيانا » وحارثة بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازى والحسن بن أبي جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبرى ويزيد بن عبد العزيز وعلى بن صالح بن حي وزفر بن الهذيل والقاسم بن معن ، وتابع إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن

(١) إلى هنا انتهى ذكر الرواة ثم ذكر جوده أي جعله من قسم الجيد . ع

وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على اسماعيل بن أبي خالد وشهد اسماعيل بن أبي خالد على قيس بن أبي حازم وشهد قيس بن أبي حازم على جرير بن عبد الله وشهد جرير بن عبدالله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقوله ويبلغه لأمته ولا شيء أقر لأعينهم منه ، وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وانه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون .

(فصل)

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئاً أزيدكم ؟ يقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق .

(فصل)

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله ابن احمد بن حنبل والحضرمي قالوا حدثنا اسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني حدثنا محمد ابن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة ابن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، أليس ذلك عدلا من ربكم ؟ قالوا بلى . قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى

شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال فيقولون إن لنا إلها ما رأيناه بعد ، فيقول هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه ، فيقول ماهي؟ فيقول يكشف عن ساقه فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك ، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة فإذا أضاء قدم قدمه ومشى ، وإذا طفيء قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر فى النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم كشد الرحل حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى مالم يعط أحداً إذ نجانى منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم ، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار ؟ ! فيقول يارب اجعل بينى وبينها حجابا لا اسمع حسيسها (١) قال فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذى هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول فلعلك ان أعطيتكه تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره ، وأى منزل يكون أحسن منه ؟ ! قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فلعلك ان أعطيتكه تسأل غيره ، فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره وأى منزل يكون أحسن منه ؟ ! قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه حلم فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره . قال لا وعزتك لا أسأل غيره وأى منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله ثم

(١) أى صوتها لهم فيها زفير وشهيق، تكاد تميز من الغيظ نجانا الله منها . ع

يسكت فيقول الله عزوجل مالك لا تسأل ؟ فيقول رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول الله عز وجل ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟ فيقول أتستهزىء بى وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكت فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قال فيقول الرب عز وجل لا ، ولكنى على ذلك قادر سل ، فيقول ألحقنى بالناس فيقول الحق بالناس قال فيطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك ؟ فيقول رأيت ربى أو تراءى لى ربى فيقال له انما هو منزل من منازلك قال ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود فيقال له مه مالك ؟ فيقول رأيت انك ملك من الملائكة فيقول له انما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه ، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها اعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك فيقول لها والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فتقول له والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فيقال له أشرف قال فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره ، قال فقال عمر ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن ادنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم ؟ قال كعب يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ان الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى أن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا يبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى ملكه فقال ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها ، فقال كعب والذى نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من

ملك مقرب ولا نبي مرسل الا يخر لركبتيه حتى إن ابراهيم خليل الله يقول رب نفسى نفسى حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو ، هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون فى السنة كعبد الله بن احمد والطبرانى والدار قطنى فى كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبى عبد الرحمن المقرى قال حدثنا أبى حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام بن حرب حدثنا الدالانى حدثنا المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ورواه من طريق زيد بن ابى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ورواه من طريق أحمد بن أبى طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة.

فصل

وأما حديث على بن أبى طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد ابن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة وذكر مايعطون قال ثم يقول الله تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى ولدينا مزيد » .

وأما حديث أبى موسى ففى الصحيحين عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » (وقال الإمام أحمد) حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة عن أبى بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الأمم فى صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا لله أن يصدع بين خلقه (١) مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى

(١) أى يفرق بينهم فيفصل أهل الجنة من أهل السعير.

يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم ؟ فنقول نحن المسلمون ، فيقول ماتنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل، فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فنقول نعم إنه لاعدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول أبشروا يامعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهوديا أو نصرانيا مكانه » وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة » وذكر الدارقطنى من حديث أبان بن أبى عياش عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه اولهم وآخرهم إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

فصـــل

وأما حديث عدى بن حاتم فى صحيح البخارى قال : « بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحداً إلا الله ، قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طيء (١) الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز ؟ قال كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقول ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم ، قال عدى بن حاتم سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ماقال النبى صلى الله عليه وسلم » .

(١) دعار طيء أراد بهم قطاع الطريق والدعارة الفساد والشر ورجل داعر خبيث م ويجمع على دعار ع .

فصـــل

وأما حديث أنس بن مالك ففى الصحيحين من حديث سعيد بن أبى عروبه عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفى لفظ فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟! فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لست هناكم ، فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله عز وجل قال فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال قال رسول الله صلى عليه وسلم فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى فاشفع فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم ارفع رأسك يا محمد قل تسمع . وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحمد لى حداً فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال فاقول يارب مابقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود » (وذكر ابن خزيمة) عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب ابن الليث عن الليث حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال : «يلقى الناس يوم القيامة ماشاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا » فذكر الحديث إلى أن قال فينطلقون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فاقول أنا لها فانطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى فادخل وربى على عرشه فأخر ساجداً » (وذكر الحديث) وقال أبو عوانة وابن أبى عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث فاستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فآتانى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً ورؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتا

يقطع به أهل العلم بالحديث والسنه وفى حديث أبى هريرة أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر . وأنا صاحب لواء الحمد ولافخر : « وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فاخر له ساجداً » .

(وقال الدارقطنى) حدثنا محمد بن إبراهيم النسائى العدل بمصر حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر القاضى حدثنا أبو بكر إبرهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الأبح عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه الله عز وجل (حدثنا) أبو صالح عبد الرحمن ابن سعيد بن هارون الاصبهانى ومحمد بن جعفر بن أحمد الطبرى ومحمد بن على بن اسماعيل الايلى قالوا حدثنا عبد الله بن روح المدائنى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء واسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا حدثنا ليث عن عثمان عن أبى حميد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أتانى جبريل وفى كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذه التى فى يدك ياجبريل ؟ فقال هذه الجمعة ، قلت وما الجمعة ، قال لكم فيها خير كثير . قلت وما يكون لنا فيها ؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعالك ، قلت وما لنا فيها ؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ذخر له فى آخرته ما هو أعظم منه قلت ما هذه النكتة التى هى فيها ؟ قال هى الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد قلت وما ذاك يا جبريل ! قال إن ربك اتخذ فى الجنة واديا فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسى بكراسى من نور فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى ويحف الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكلة بالجوهر ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى . فسلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا إلى شىء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا منه نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة » هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه

بالقبول (وجل به الشافعى مسنده) فرواه عن إبراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الأزهر عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه ثم قال الشافعى أنبأنا إبراهيم قال حدثنى أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء (ورواه محمد بن اسحاق) قال حدثنى ليث بن أبى سليم عن عثمان ابن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقى الحديث ورواه عمرو بن أبى قيس عن أبى طيبة عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنس وجوده وفيه « فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى سلونى فيسألونه الرضى ، قال رضاى آمن لكم دارى ، وأنالكم كرامتى سلونى فيسألونه الرضى قال فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهى رغبتهم » وذكر الحديث ورواه على بن حرب حدثنا اسحاق بن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن أخت سفيان الثورى عن ليث ابن أبى سليم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ورواه الدارقطنى من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال سمعته يقول « بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال أتانى جبريل فى يده كالمرآة البيضاء فى وسطها كالنكتة السوداء قلت يا جبريل ما هذا ؟ قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيداً ولا متك من بعدك قال قلت ياجبريل ما هذه النكتة السوداء ؟ قال هى الساعة وهى تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه فى الجنة يوم المزيد قال قلت ياجبريل ندعونه يوم المزيد ؟ قال إن الله اتخذ فى الجنة واديا أفيح (١) من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادى وقد حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسى من نور ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى فإذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض فى وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد

---

(١) أفيح واسع يقال بحر أفيح وفياح بمعنى واسع . ع

مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل ، فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة فيقول يارضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادى وزوارى فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فراوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته ارفعوا رؤسكم فإنما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء سلونى ما شئتم فإنا ربكم الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى . فهذا محل كرامتى فسلونى ما شئتم فيقولون ربنا وأى خير لم تفعله بنا ، ألست أعنتنا على سكرات الموت ، وآنست منا الوحشة فى ظلمات القبور وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور ؟ ألست أقلت عثراتنا وسترت علينا القبيح من فعلنا ، وثبت على جسر جهنم أقدامنا ؟ ألست الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فأى خير لم تفعله بنا ؟ فنعوذ بالله عز وجل فيناديهم بصوته فيقول أنا ربكم الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى فسلونى ، فيقولون نسألك رضاك فيقول برضائى عنكم أقلتكم عثراتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم ، وأدنيت منى جواركم ، وأسمعتكم لذاذة منطق وتجليت لكم بنورى . فهذا محل كرامتى فسلونى ، فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل سلونى فيقولون رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة قال أنس فقلت بأبى وأمى يارسول الله مقدار تفرقهم ؟ قال كقدر الجمعة إلى الجمعة قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته قال أنس سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد » (ورواه الدار قطنى) أيضاً عن أبى بكر النيسابورى قال أخبرنى أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرنى محمد بن شعيب قال أخبرنى عمر مولى غفرة عن أنس ورواه محمد بن خالد بن خلى حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبدالرحمن بن محمد عن ليث عن أبى عثمان عن أنس ورواه إمام الأئمة محمد بن اسحاق ابن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبى حميد عن أنس ورواه عن الاسود بن عامر قال ذكر لى عن شريك عن أبى اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة فى الإبانة من حديث الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة وسيأتى سياقه وقد جمع ابن أبى داود طرقه .

(فصل)

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » .

(فصل)

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن أبي رزين قال : « قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ قال نعم ، قلت وما آية ذلك في خلقه ؟ قال أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر ؟ قلنا نعم . قال الله أكبر وأعظم » قال عبد الله قال أبي والصواب حدس (وقال أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل هما أثنان ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة والصحيح الأول وقال ابن عبد البر من قال لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة .

(فصل)

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد حدثنا روح عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال : « نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فندعى الأمم بأوثانها وماكانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون ؟ فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك . قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل

أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء فى السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها » رواه مسلم فى صحيحه وهذا الذى وقع فى الحديث من قوله على كذا وكذا قد جاء مفسراً فى رواية صحيحة ذكرها عبد الحق فى الجمع بين الصحيحين « نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق » وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح ابن زيد قال حدثنى ابن جريج قال أخبرنى زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة » .

(وقال الدارقطنى) أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعانى قال حدثنى ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا » .

ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم فذكر الحديث وفيه فيقول أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لاعدل له ، قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى فيخرون له سجداً » (وقال ابن ماجه فى سننه) حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا أبو عاصم العبادانى عن فضل ابن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره » (وقال حرب فى مسائله) حدثنا يحي ابن أبى حزم حدثنا يحي ابن محمد أبو عاصم العبادانى فذكره وعند البيهقى فى هذا الحديث سياق آخر رواه أيضا من طريق العبادانى عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقال تعالى يا أهل الجنة سلونى قالوا نسألك الرضى عنا قال رضائى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى . هذا أوانها فسلونى . قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت احمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاؤا عليها

تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحا يقال لها المثيرة حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنـــة ، فتقول الملائكة ياربنا قد جاء القوم فيقول مرحبا مرحبا بالصادقين ومرحبا بالطائعين . قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لايبصر بعضهم بعضا ، ثم يقول أرجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال رسول الله صلى الله وسلم فذلك قوله تعالى (نزلا من غفور رحيم) » رواه فى كتاب البعث والنشور وفى كتاب الرؤية قال وقد مضى فى هذا الكتاب وفى كتاب الرؤية مايؤكد هذا الخبر وقال الدارقطنى أنبأنا الحسن بن اسماعيل أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة حدثنا يحى بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة » .

(فصـــل)

وأما حديث أبى أمامة فقال ابن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن عطاء الخراسانى عن يحى بن أبى عمرو السيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته ، فكان فيما قال لنا يومئذ إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم ، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم ، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالا ، يا عباد الله اثبتوا وانه يبدأ فيقول أنا نبى ولا نبى بعدى ، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحييها وانه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وإن من فتنته أن معه جنة وناراً فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم وإن أيامه أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ويوم كالايام وآخر أيامه كالسراب ، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسى قبل ان يبلغ

بابها الآخر ، قالوا فكيف نصلى يا رسول الله فى تلك الأيام ؟ قال تقدرون كما تقدرون فى الأيام الطوال » ورواه الدار قطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبى عمرو به .

(فصـــل)

وأما حديث زيد بن ثابت فقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثنى أبو بكر قال حدثنى ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير فى يديك ومنك وإليك ، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شىء قدير ، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صلاة ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى على أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبا لاتغفره . اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شىء قدير ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق . والجنة حق والساعة آتية لاريب فيها وأنت تبعث من فى القبور . وأشهد أنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإنى لا أثق إلا برحمتك فاغفر لى ذنبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب على إنك أنت التواب الرحيم » رواه أبو داود فى سننه .

(فصـــل)

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن أبى هاشم عن أبى مجلز : « قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا بلى . قال أما إنى قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى ، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق

الغضب والرضا . والقصد فى الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين » وأخرجه ن حبان والحاكم فى صحيحيهما . .

(فصـــل)

(وأما حديث عائشة) ففى صحيح الحاكم من حديث الزهرى عن عروة عنها قالت قال سول الله صلى الله عليه وسلم : « لجابر يا جابر ألا أبشرك ؟ قال بلى بشرك الله بخير قال عرت أن الله أحيا أباك فاقعده بين يديه فقال تمن على عبدى ما شئت أعطكه قال يارب عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك ، فأقتل فيك مرة خرى ، قال إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع » وهو فى المسند من حديث جابر وفى سنده أدخله وللترمذى فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال : « لما قتل عبد الله بن عمرو ن حرام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز جل لأبيك ؟ قال بلى قال ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك ماحا (١) فقال يا عبدى تمن على أعطك . قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية . قال أنه ـ سبق منى أنهم إليها لا يرجعون قال يارب فأبلغ من ورائى فأنزل الله عز وجل هذه لآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية) قال الترمذى هذا حديث حسن ريب قلت واسناده صحيح ورواه الحاكم فى صحيحه .

(فصـــل)

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن اسرائيل ن ثوير بن أبى فاختة وقال الطبرانى حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابو معاوية محمد بن حازم ن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله ليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ظر إلى أزواجه وسرره وخدمه وأن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل م مرتين » (قال الترمذى) وروى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن

---

(١) أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول اهنهايه ح

ابن عمر مرفوعا ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا وروى الأشجعي عبيد الله عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت ورواه الحسن بن عرفة عن شبابة عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا وزاد فيه « ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى » ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن ابراهيم بن خرزاذ عنه .

(وقال الدارقطني) حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة . قالوا بلى يارسول الله ، فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لانعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول ياأهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود ياداود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل » (وقال عثمان) بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لانعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن » .

(فصـــل)

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة في الابانة حدثنا عبد الغافر بن سلامه الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: « نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر. لاتضارون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا » قال ابن بطة وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق عن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة ابن روبية عن أبيه قال : « نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم

تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا » .

(فصـــل)

وأما حديث سلمان الفارسى فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبى عثمان عن سلمان الفارسى قال : « يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون يانبى الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك ، قم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهى إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا ؟ فيقال محمد قال فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدى الله فيستأذن فى السجود فيؤذن له » الحديث .

(فصـــل)

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرنى أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبى بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحى بن كثير العنبرى حدثنى أبى عن ابراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة بن اليمان وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيد العصفرى قالا حدثنا يحى بن كثير حدثنا ابراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ : « أتانى جبريل فإذا فى كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا فى وسطها نكتة سوداء قال قلت ياجبريل ماهذا ؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال قلت وما هذه اللمعة فى وسطها ؟ قال هذه الجمعة قال قلت وما الجمعة ؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وساخبرك بشرفه وفضله واسمه فى الآخرة (أما شرفه وفضله فى الدنيا فان الله تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما مارجى فيه فان فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه (وأما شرفه وفضله واسمه فى الآخرة فان الله تبارك وتعالى اذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته فاذا كان يوم الجمعة فى الحين الذى يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد ياأهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد لايعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل فى كثبان من المسك قال فيخرج عليها الأنبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت قال فاذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحا تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب

بإذن الله تعالى قال ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول أين عبادى الذين أطاعونى فى الغيب ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى فسلونى فهذا يوم المزيد ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا رضينا عنك فارض عنا . قال فيرجع الله تعالى فى قولهم ان يا أهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لما اسكنتكم جنتى فسلونى فهذا يوم المزيد ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا ، قال فيرجع الله عز وجل فى قولهم ان يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى فهذا يوم المزيد فسلونى ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر اليه ، قال فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شىء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا بما غشيهم من نوره ، قال ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم قال فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن ، ويزاد وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التى كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم ، قال فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (وقال عبد الرحمن بن مهدى) حدثنا إسرائيل عن أبى اسحاق عن مسلم بن يزيد السعدى عن حذيفة فى قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه الله عز وجل ، قال الحاكم وتفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع .

(فصل)

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبى نضرة قال : خطبنا ابن عباس فقال قال رسول الله ﷺ : « ما من نبى إلا وله دعوة تعجلها فى الدنيا وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فآتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فاقرع الباب فيقال من أنت ؟ فأقول أنا محمد فآتى ربى وهو على كرسيه أو على سريره فيتجلى لى ربى فأخر له ساجداً ، ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبى سعيد بدل ابن عباس وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمى محمد بن الأشعث حدثنا ابن جبير قال حدثنى أبى جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « ان أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى فى كل يوم جمعة فى رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا ،

(فصــــل)

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الصنعانى حدثنا صدقة بن عمرو العقدى قال قرأت على محمد بن اسحاق حدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه عبد الله بن عمرو قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال : « خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا فان منهم لملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامه وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » .

(فصــــل)

وأما حديث أبى بن كعب فقال الدار قطنى حدثنا عبد الصمد بن على حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال حدثنى قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه الله عز وجل (وأما حديث كعب بن عجرة) فقال محمد بن حميد حدثنا ابراهيم بن الختار عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

(فصــــل)

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا محمد بن المهاجر عن أبى حلبس عن أبى الدرداء ان فضالة يعنى ابن عبيد كان يقول : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة » .

(فصــــل)

وأما حديث عبادة بن الصامت ففى مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ انه قال : « قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال

رجل قصير أفحج (١) جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء (٢) فان التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » (وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ) فقال الصنعاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال كونوا كرجل قال لإبنه وهو يعظه « يا بني أوصيك أن لاتصلي صلاة إلا ظننت أنك لاتصلي بعدها غيرها حتى تموت ، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ، ولقد سمعت فلانا ـ نسي عباد اسمه ـ ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال إن رسول الله ﷺ قال : « إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته مامنهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله تعالى ، قال وملائكة سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامه وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا سبحانك ماعبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك » .

(فصـــل)

وهاك بعض ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم .

(قول) أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال أبو اسحاق عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقالوا ما الزيادة ياخليفة رسول الله ؟ قال النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى (قول) علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا علي بن ميسرة الهمداني حدثنا صالح بن أبي خالد العنبري عن أبي الأحوص عن أبي اسحاق الهمداني عن عمارة بن عبيد قال سمعت علياً يقول : « من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته » (قول) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي اسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة قال الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك

---

(١) أفحج متباعد ما بين الفخذين (٢) جحراء أي غائرة متحجرة في نقرنها وقال الأزهري هي بالخاء وأنكر الحاء والجخراء الضيقة التي لها غمص ورمص ومنه قيل للمرأة جخراء إذا لم تكن نظيفة المكان وروى حجراء قال الهروي إن كانت هذه اللفظة محفوظة فمعناها أنها ليست بصلبة ولا متحجرة اهـ من النهاية . ع

وتعالى (قول) عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ذكر أبو عوانة عن
هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذا المسجد مسجدا الكوفة
يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال : « والله مامنكم من إنسان إلا إن ربه سيخلو به يوم القيامة
كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ماغرك بى يابن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت
المرسلين ثلاثا ؟ كيف عملت فيما علمت » وقال ابن أبى داود حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا
ابراهيم بن الحكم حدثنا أبى عن عكرمة قال قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عز
وجل ؟ قال نعم ، وقال أسباط بن نصر عن اسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن
ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل ؟ (قول
معاذ بن جبل) قال عبد الرحمن بن أبى حاتم أنبأنا اسحاق بن أحمد الخراز حدثنا اسحاق
ابن سليمان الرازى عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبى حمزة قال « كنت جالساً عند أبى وائل
فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة ياأبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ
ابن جبل قال بلى سمعته يقول يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى أين المتقون
فيقومون فى كنف واحد من الرحمن لايحتجب الله منهم ولا يستتر ، قلت من المتقون ؟ قال
قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله فى العبادة فيمرون إلى الجنة » (قول أبى هريرة
رضى الله عنه) قال ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن أبى النصر أن أبا هريرة كان يقول لن
تروا ربكم حتى تذوقوا الموت (قول عبد الله بن عمر) قال حسين الجعفى عن عبد الملك بن
أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال : « ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى
أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله فى كل يوم مرتين » (قول فضالة
ابن عبيد) ذكر الدارمى عن محمد بن مهاجر عن أبى حلبس عن أبى الدرداء أن فضالة بن عبيد
كان يقول : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضا . وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى
وجهك » وقد تقدم : (قول أبى موسى الأشعرى) قال وكيع عن أبى بكر الهذلى عن أبى تميمة
عن أبى موسى قال الزيادة النظر إلى وجه الله ، وروى يزيد بن هارون وابن أبى عدى وابن
علية عن التيمى عن أسلم العجلى عن أبى مزانة عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يحدث الناس
فشخصوا بأبصارهم فقال ماصرف أبصاركم عنى ؟ قالوا الهلال قال فكيف بكم إذا رأيتم وجه
الله جهرة (قول أنس بن مالك) قال ابن أبى شيبة حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك عن
أبى اليقظان عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل « ولدينا مزيد » قال يظهر لهم الرب تبارك
يوم القيامة (قول جابر بن عبد الله) قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبى خالد عن
الحسن عن جابر قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من

ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبـــار فاذا تجلى لهم خروا سجدا فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رؤسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده ، (قال الطبرى) فتحصل فى الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا منهم على وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبى بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدى بن حاتم وأبو رزين العقيلى وكعب بن عجرة وفضالة بر عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبى ﷺ (وقال الدار قطنى) أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحي ابن معين يقول عندى سبعة عشر حديثا فى الرؤية كلها صحـــاح (وقال البيهقى) روينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم فى ذلك إلينا كما انهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار فى الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا علمنا انهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين ومجتمعين .

(فصـــل)

وأما التابعون ونزل الإسلام وعصابة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل قال سعيـــد بن المسيب الزيادة النظر إلى وجه الله رواه مالك عن يحي عنه وقال الحسن الزيادة النظر إلى وجه الله رواه ابن أبى حاتم عنه وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلى ذكره سفيان عن أبى اسحـــاق عنه وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير عن ليث عنه وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وكعب وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه فان بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه وبها رافقوا أنبياءه وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة . وقال الحسن لو علم العابدون فى الدنيا انهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا وقال الأعمش وسعيد بن جبير

إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية ، وقال كعب ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال طيبي لأهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد فى الدنيا إلا ويخرجون فى مقداره فى رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا ، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك . وقال هشام بن حسان إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال طاووس أصحاب المراء والمقاييس(١) لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة وقال شريك عن أبى إسحاق السبيعى الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا بما شاؤا فيقول الله عز وجل لهم إنه قد بقى من حقكم شىء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم ولا يكون ما أعطوه عند ذلك بشىء . فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى ، وقال على بن المدينى سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) قال عبد الله من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحداً . وقال نعيم بن حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه ثم قرأ (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم ، ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) قال بالرؤية ذكره ابن أبى الدنيا عن يعقوب عن إسحاق عن نعيم ، وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له يا أبا عبد الله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا » و« إن أهل الجنة يرون ربهم » فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا وقال أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا ، وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التى فى داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثورى وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حى وحدثنا شريك بن عبد الله النخعى هؤلاء أبناء

---

(١) المراء الجدال والمقاييس جمع قياس وأهلها هم الذين يقيسون الأشباه والنظائر التى لم يعرف لها بخصوصها حكم شرعا على ما له حكم ليعطوها حكم شبيهها . ع

المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى فى الآخرة حتى جاء ابن يهودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعنى بشر المريسى .

(فصل)

فى المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومناهجهم (ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس) قال أحمد بن صالح المصرى حدثنا عبد الله بن وهب قال قال مالك بن أنس : الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم ؟ وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك عن قوله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أتنظر إلى الله عز وجل ؟ قال نعم ، فقلت إن أقواما يقولون تنظر ما عنده ، قال بل تنظر إليه نظرا وقد قال موسى رب أرنى أنظر إليك ، قال لن ترانى وقال الله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وذكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون أن الله لا يرى ، فقال مالك السيف السيف (ذكر قول ابن الماجشون) قال أبو حاتم الرازى قال أبو صالح كاتب الليث أملى على عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال لم يزل يملى لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة . فجحدوا والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم (ذكر قول الأوزاعى) ذكر ابن أبى حاتم عنه قال انى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه الذى وعده الله أولياءه حين يقول (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعده الله أولياءه (ذكر قول الليث بن سعد) قال ابن أبى حاتم حدثنا اسماعيل بن أبى الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد ابن مسلم يقول سألت الأوزاعى وسفيان الثورى ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية فقالوا تمر بلا كيف (قول سفيان بن عيينة) ذكر الطبرى وغيره عنه انه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى فى الجنة فهو جهمى ، وذكر عنه ابن أبى حاتم انه قال لا يصلى خلف الجهمى والجهمى الذى يقول لا يرى ربه يوم القيامة (قول جرير بن عبد الحميد) ذكر ابن أبى حاتم عنه انه ذكر حديث ابن سابط فى الزيادة

أنها النظر إلى وجه الله فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه (قول عبد الله بن المبارك) ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه ان رجلا من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن (خدارا بآن جهان جون بيند) ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ! فقال بالعين ، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن اسحق قال سمعت نعيم بن حماد يقول سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ، ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون)

قال ابن المبارك بالرؤية (قول وكيع بن الجراح) ذكر ابن أبي حاتم عنه انه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون فى الجنة ولا يراه إلا المومنون (قول قتيبة بن سعيد) ذكر ابن أبي حاتم عنه قال قول الأئمة المأخوذ به فى الإسلام والسنة الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ فى الرؤية (قول أبي عبيد القاسم بن سلام) ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التى فى الرؤية فقال هى عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفسر منها شيأ ولكن نمضيها كما جاءت (قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد) قال المروزى حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال احلف عليها بالطلاق وبالمشى(١) إنها حق (قول محمد ابن إدريس الشافعى) قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال فى قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لما حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضا قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وتقول به ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده . وقال ابن بطة حدثنا ابن الأنبارى حدثنا أبو القاسم الأنماطى صاحب المزنى قال قال الشافعى رحمه الله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم (قول امام السنة احمد بن حنبل) قال اسحاق بن منصور قلت لأحمد أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة ؟ أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال احمد صحيح . قال ابن منصور وقال اسحق بن راهويه صحيح ولا يدعه الا كل مبتدع أو ضعيف الرأى (وقال الفضل بن زياد) سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية ! فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمى ، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل انه قال ان الله لا يرى فى الآخرة فغضب غضبا شديدا ثم

---

(١) أى بالمشى إلى الكعبة .

قال من قال ان الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء فى الرؤية فغضب وقال من قال ان الله لا يرى فهو كافر ، وقال أبو داود وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبى العطوف ان الله لا يرى فى الآخرة فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال أخزى الله هذا . وقال أبو بكر المروزى قيل لأبى عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبى العطوف عن أبى الزبير عن جابر ان استقر الجبل فسوف تراني وان لم يستقر فلا تراني فى الدنيا ولا فى الآخرة فغضب أبو عبد الله غضبا شديداً حتى تبين فى وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزى الله هذا لا ينبغى أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمى كافر خالف ما قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أخزى الله هذا الخبيث ، قال أبو عبد الله ومن زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر . وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفاً صفا) فمن قال ان الله لا يرى فقد كفر ، وقال اسحق بن ابراهيم ابن هانىء سمعت أبا عبد الله يقول من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى والجهمى كافر . وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبى عبد الله أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال نعم ينظر اليهم وينظرون اليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤا إذا شاؤا ، وقال حنبل بن اسحق سمعت أبا عبد الله يقول القوم يرجعون إلى التعطيل فى أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وماظنناتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمى فقد كفر . ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا فقد كفر ورد على الله قوله ، قال أبو عبد الله فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقرها ونمرها كما جاءت . وقال الأثرم سمعت أبا عبد الله يقول فأما من يقول ان الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمى . قال أبو عبد الله وانما تكلم من تكلم فى رؤية الدنيا وقال ابراهيم بن زياد الصائغ سمعت احمد بن حنبل يقول : الرؤية من كذب بها فهو زنديق ، وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول : أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيأ ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين ،

وقال أبو عبد الله قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا » وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه فى الآخرة وقال (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه ، قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول قال الله تعالى: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة »

والأحاديث التى تروى فى النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره «وتنظرون إلى ربكم » أحاديث صحاح وقال : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » النظر إلى وجه الله تعالى قال أبو عبد الله نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لانشك فيه ولا نرتاب ، ، قال وسمعت أبا عبد الله يقول . من زعم أن الله لايرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، قال حنبل قلت لأبى عبد الله فى أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح نؤمن بها ونقر وكلما روى عن النبى ﷺ إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبدالله إذا لم نقر بما جاء عن النبى ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (قول اسحاق بن راهويه) ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال ياأبا يعقوب هذه الأحاديث التى يروونها فى النزول والرؤية ماهن ؟ فقال رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فان يكونوا فى هذه عدولا وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال شفاك الله كما شفيتنى أو كما قال (قول جميع أهل الايمان) قال إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتابه إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين (قول المزنى) ذكر الطبرى فى السنة عن ابراهيم عن أبى داود المصرى قال كنا عند نعيم ابن حماد جلوسا فقال نعيم للمزنى ماتقول فى القرآن ؟ فقال أقول إنه كلام الله ! فقال غير مخلوق ؟ فقال غير مخلوق ؟قال وتقول ان الله يرى يوم القيامة ؟ قال نعم فلما افترق بالناس قام إليه المزنى فقال يا أبا عبد الله شهرتنى على رؤوس الناس . فقال إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك (قول جميع أهل اللغة) قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد ابن عبد الواحد صاحب اللغة يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحي ثعلبا يقول فى قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لايكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار وحسبك بهذا الإسناد صحة ، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم

وبالتواتر عن النبي ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة « إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وحديث أنس « إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله » وحديث أبي ذر « لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة » وحديث أبي موسى من لقي الله لايشرك به شيئا دخل الجنة » وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد.

« فصـــل »

(في وعيد منكري الرؤية)

قد تقدم قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله بن المبارك ماحجب الله عنه أحدا إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : « قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة ؟ قالوا لا ، قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة ؟قالوا لا ، قال فوالذي نفس محمد بيده لاتضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى . فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا ، فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى أي ربي ، فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا ، فيقول إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير مااستطاع فيقول ههنا إذا ، ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه »فاجمع بين قوله فانكم سترون ربكم وقوله لمن ظن أنه غير ملاقيه فاني أنساك كما نسيتني وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار يحصل لك العلم بان منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد (ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث) بـاب في الوعيد لمنكري الرؤية كما فعل شيخ الإسلام وغيره وبالله التوفيق .

(فصـــل)

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس فى الظهيرة فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقول أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فان الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة والذى بلغها هو الذى بلغ الدين فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، والمنحرفون فى باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان (أحدهما) من يزعم أنه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر و (الثانى) من يزعم أنه لا يرى فى الآخرة البتة ولا يكلم عباده ، وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين وبالله التوفيق .

﴿ الباب السادس والستون ﴾

(فى تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم)

قال تعالى (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم) وقال فى حق الذين يكتمون ماأنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لايكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لايكلمهم فائدة أصلا إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم وتقدم تفسير النبى ﷺ لهذه الآية فى حديث جابر فى الرؤية وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عيانا وفى هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول

النبي ﷺ « ولا يبقى أحد فى ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة فيقول يافلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا » الحديث وتقدم حديث عدى بن حاتم « مامنكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة » وحديث أبي هريرة فى الرؤية وفيه « يقول الرب تبارك وتعالى للعبد ألم أكرمك وأسودك » الحديث وحديث بريدة « مامنكم من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب » الحديث وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى أكثرها ذكر التكليم قال البخارى فى صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ماطابت لأهلها إلا به والله المستعان.

« الباب السابع والستون »

(فى أبدية الجنة وأنها لاتفنى ولا تبيد)

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ » أى مقطوع ولا تنافى بين هذا وبين قوله إلا ماشاء ربك واختلف السلف فى هذا الاستثناء فقال معمر عن الضحاك هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه إنهم خالدون فى الجنة مادامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم فى النار ، « قلت » وهذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الاخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء (والثانى) وهو الاظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه ، وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص (وقالت فرقة أخرى) هو استثناء استثناه الرب تعالى ولا يفعله كما تقول والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لاتراه بل تجزم بعدم ضربه (وقالت فرقة أخرى) العرب إذا استثنت شيئا كثيرا مع مثله ومع ماهو أكثر منه كان معنى إلا فى ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ماشاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض هذا قول الفراء (وسيبويه) يجعل إلا بمعنى لكن (قالوا) ونظير ذلك أن تقول لى عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أى سوى الألفين قال ابن جرير وهذا أحب الوجهين إلى لأن الله تعالى لاخلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ قالوا ونظيره أن تقول أسكنتك دارى حولا إلا ماشئت أى سوى ماشئت أو لكن

ماشئت من الزيادة عليه (وقالت فرقة أخرى) هذا الاستثناء انما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الى أن يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد فلم يغيبوا عن الجنة الا بمقدار اقامتهم فى البرزخ .

(وقالت فرقة أخرى) العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته وهذا كما قال لنبيه (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) وقوله (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقوله (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) ونظائره وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن

(وقالت فرقة أخرى) المراد بمدة دوام السموات والأرض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ماشاء الله أن يزيدهم عليه ولعل هذا قول من قال ان إلا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ماشاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم .

(وقالت فرقة أخرى) ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) والمعنى إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء . والفرق . بين هذا القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان .

(وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبداً . وقوله . (إلاماشاء ربك) إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم فى البرزخ والموقف ، قال الجعفى سألت عبدالله ابن وهب عن هذا الاستثناء فقال سمعت فيه أنه قدر وقوفهم فى الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس .

(وقالت فرقة أخرى) الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم فى الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم فى الجنة كل وقت إلا وقتا يشاء أن لايكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا وفى البرزخ وفى موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم فى النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم وكذلك قوله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وماهم منها بمخرجين) وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد فى عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله إلا ماشاء ربك تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت

على حياتهم الأبدية وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها وبالله التوفيق وقد تقدم قول النبي ﷺ « من يدخل الجنة ينعم ولايبأس ، ويخلد ولايموت » وقوله « ينادى منــاد يا أهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلاتسقموا أبداً ، وان تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وانتحيوا فلا تموتوا أبدا » وثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ انه قال « يجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنــار ، ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النــار خلود فلا موت »

(فصـــل)

وهذا موضع اختلف فيه المتاخرون على ثلاثة أقوال « أحدها » أن الجنة والنــار فانيتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان (والقول الثانى) انهما باقيتان دائمتان لاتفنيــان أبدا (والقول الثالث) أن الجنة باقية أبدية والنار فانية ونحن نذكر هذه الأقوال وما قابلها وما احتج به أرباب كل قول ونرد ماخالف كتاب الله وسنة رسوله فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه سلف قط من الصحـابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الاسلام ولا قال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنـكره عليه وعلى اتباعه أئمة الاسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض كما ذكره عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب السنة عن خارجة بن مصعب انه قال كفرت الجهميـة بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل يقول الله سبحانه وتعالى (أكلها دائم وظلها) وهم يقولون لايدوم ، ويقول الله تعالى (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) وهم يقولون ينفد ، ويقول الله عز وجل (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) « قال شيخ الاسلام » وهذا قاله جهم لاصله الذى اعتقده وهو امتناع وجود مالايتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الـكلام التى استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لهـا فى المـاضى يمنع فى المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى فى المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه فى الماضى وأبو الهذيل العـلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل لـكن قال ان هذا يقتضى فناء الحركات لكونها متعـاقبة شيأ بعد شىء فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا فى سكون دائم لايقدر أحد منهم على حركة (وزعمت فرقة) ممن وافقهم على امتناع حوادث لانهاية لهـا أن هذا القول مقتضى العقل لـكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنـا بذلك ، وكأن هؤلاء لم يعلموا ان

ما كان ممتنعا فى العقل لايجىء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ماهو ممتنع فى العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها فالسمع يجىء بالثانى لا بالأول فالسمع يجىء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجىء بمايعلم العقل إحالته ؛ والأكثرون الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل علىهذا الأصل فرقوا بين الماضى والمستقبل ، وقالوا الماضى قد دخل الوجود بخلاف المستقبل . والممتنع إنما هو دخول مالايتناهى فى الوجود لاتقدير دخوله شيأ بعد شىء قالوا وهذا نظير ان يقول القائل لا أعطيك درهما إلا وأعطيك بعده درهما آخر فهذا ممكن ، والأول نظير أن يقول لا أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما فهذا محال ، وهؤلاء عندهم وجود مالايتناهى فى الماضى محال ووجوده فى المستقبل واجب ؛ ونازعهم فى ذلك آخرون فقالوا بل الأمر فى الماضى كهو فى المستقبل ولا فرق بينهما بل الماضى والاستقبال أمر نسبى فكل ما يكون مستقبلا يصيرماضيأ وكل ماض فقدكان مستقبلا فلا يعقل إمكانالدوام فى أحد الطرفين وإحالته فى الطرف الآخر « قالوا » وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل ربا قادرا فعالا فأنه لم يزل حيا عليما قديرا ؛ ومن المحال ان يكون الفعل ممتنعا عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكنا لذاته من غير تجدد شىء وليس للأزل محدود حتى يصير الفعل ممكنا له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعا عليه فهذا القول تصوره كاف فى الجزم بفساده ويكفى فى فساده أن الوقت الذى انقلب فيه الفعل من الاحالة الذاتية إلى الامكان الذاتى إما ان يصح ان يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أولا يصح ، فأن قلتم لايصح كان هذا تحكما غير معقول وهو من جنس الهوس « وإن قلتم يصح قيل وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية فما من زمن محقق أومقدر إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل ربا حميداًملكا قادرا لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم يزل حيا مريدا عليما والحياة والارادة والعلم والقدرة تقتضى آثارها ومتعلقاتها . فكيف يعقل حى قدير عليم مريد لبس اه مانع ولاقاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيأ البتة ! ؟ وكيف يجعل هذا أصل أصول الدين ويجعل معيارا على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها . فإذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به ، وأما قول من فرق بأن الماضى قد دخل فى الوجود دون المستقبل فكلام لاتحقيق وراءه فأن الذى يحصره الوجود من الحركات هو المتناهى ثم يعدم فيصير ماضيا كما كان معدوما لما كان مستقبلا فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى فالذى صار ماضيا هو بعينه الذى كان مستقبلا فأن دل الدليل على امتناع مالا يتناهى شيأ قبل شىء فهو بعينه دال على امتناعه شيأ بعد شىء .

وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله ما أعطيك درهما إلا وأعطيك بعده درهما فهذا ممكن والماضى نظير قوله ما أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما ، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره ان يقول ما أعطيك درهما إلا وقد تقدم منى إعطاء درهم قبله فهذا ممكن الدوام فى الماضى على حد إمكانه فى المستقبل ولا فرق فى العقل الصحيح بينهما البتة ، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقا قالوا بوجوب تناهى الحركات فى المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم فى الماضى ، وقال أهل الحديث بل هما سواء فى الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال ، وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذى لا يمكنه الفعل إلا فى وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر ، وأى كمال فى أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل فى مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه وأن ابيتم هذا الاطلاق وقلتم ان المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه فجمعتم بين محالين الحكم باباحة الفعل من غير موجب لإحالته وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتى من غير تجدد سبب ورعتم ان هذا هو الأصل الذى تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامة الأبدان فجنيتم على العقل والشرع والرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالا لما يريد ولم يزل ربا محسنا ، والمقصود ان القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنوا عليـــه القول بخلق القرآن ونفى الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعـــاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول قال تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس يقول ان مثل علم العباد كلهم فى علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام الآية) وقوله (قل لو كان البحر مدادا الآية) يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات الله والشجر كلها أقـــلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شىء لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر

قدره ولا يثني عليه كما ينبغي بل هو كما أثنى على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، ثم ان مثل نعيم الدنيا أوله وآخره فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها .

(فصــــل)

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين ، قلت ، ههنـــا أقوال سبعة (أحدها) ان من دخلها لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة (والثانى) ان أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعـــة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهذا قول أمام الاتحادية ابن العربى الطائى (قال فى فصوصه) الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يقل وعيده بل قال (ويتجاوز عن سيئاتهم) مع أنه توعد على ذلك ، وأثنى على اسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان فى حق الحق لما فيه من طلب المرجح .

فلم يبق إلا صادق الوعـــد وحده ... وما لوعيـــد الحق عين تعـــاين
وان دخلوا دار الشقـــاء فانهم ... على لذة فيهـــا نعيم مبـــاين
نعيم جنـــان الخلد والأمر واحد ... وبينهمـــا عنـــد التجلى تبـــاين
يسمى عذابا من عـــذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صـــاين

وهذا فى طرف والمعتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب فى طرف ، فأولئك عندهم لا ينجو من النـــار من دخلهـــا أصلا وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلا والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به واخبر به عن الله عز وجل (الثالث) قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم اخرون . وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى فى القرآن فيه فقال تعالى (وقالوا ان تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ! أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعـــالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم .

ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده قال تعالى (وما هم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وهذا أبلغ ما يكون فى الأخبار عن استحالة دخولهم الجنة (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الاسلام والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم (الخامس) قول من يقول بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبى الهذيل العلاف أمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها والجنة والنار عنده سواء فى هذا الحكم (السابع) قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فانه جعل لها أمداً تنتهى إليه ثم تفنى ويزول عذابها قال شيخ الإسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر « لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » وقال حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن ان عمر بن الخطاب قال : « لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه » ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الاسناد جلالة . والحسن وإن لم يسمع من عمر فانما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب . ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة لكانوا أول منكر له

قال ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه . ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم . أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يناقض هذا قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يتبع خلافه لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول وفى تفسير على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس فى قوله تعالى (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً قالوا وهذا الوعيد فى هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال (ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) وأولياء الجن من الإنس يدخل فيه الكفار قطعا فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى : « إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » وقال تعالى: « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » وقال تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » وقال تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو » وقال تعالى : « فقاتلوا أولياء الشيطان » وقال تعالى . « أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » وقال تعالى « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » والاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار فى ههنا قال ابن عباس لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه (قالوا) وقول من قال إن إلا بمعنى سوى أى سوى ما شاء الله ان يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه وأن الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد إلا لما قبلها (قالوا وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً لا يساعد عليه وجه الكلام فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا فى النار حين يقولون (ربنا استمتع

بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى احلت لنا) فيقول لهم حينئذ (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) وفى قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسر أى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا فى الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا فى ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وإنما كان غاية أمرنا فى مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض ، فتأمل ما فى هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا أن الذى كانوا فيه فى مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته وهذا على نمط قولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقوله (فاعترفوا بذنبهم) وقوله (فعلموا أن الحق لله) ونظائره والمقصود أن قوله إلا ما شاء الله عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصا بهم أو شاملا لهم ولعصاة الموحدين . وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له ، ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول ، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار (قالوا) والمعنى أنكم فى النار أبدا إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا) قالوا والأبد لا يقدر بالأحقاب وقد قال ابن مسعود فى هذه الآية ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا . وعن أبى هريرة مثله حكاه البغوى عنهما ثم قال ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان . (قالوا) قد ثبت ذلك عن أبى هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وقد قال حرب إسحاق بن راهوية عن هذه الآية فقال سألت إسحاق قلت قول الله تعالى (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) فقال أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبى حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو بعض أصحاب النبى ﷺ قال هذه الآية تأتى على القرآن كله (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال المعتمر قال أتى على كل وعيد فى القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن أبى بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا حدثنا عبيد الله حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبى زرعه عن أبى هريره قال ما أنا بالذى لا أقول أنه سيأتى على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ قوله (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعنى به الموحدين

حد نا أبو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر ابن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها (ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي نذكرها) وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله « إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد » قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال وسمعت أبا مجلز يقول جزاؤه فإن شاء الله تجاوز عن عذابه

(وقال ابن جرير) حدثنا الحسن بن يحيي أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلاماشاء ربك) قال لايموتون وما هم منها بمخرجين مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك قال استثنى الله قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعد مايلبثون فيها أحقابا ، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا وحكى ابن جرير في ذلك قولا آخر فقال وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ وإنها في الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك) فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ فقال أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار (وقال ابن مردويه) في تفسيره حدثنا سليمان بن احمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا ابو خليد حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو بن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافا لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار وهذا حق بلا ريب وهو لاينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وانهم يعذبون فيها دائماً مادامت كذلك وما هم منها بمخرجين فالحديث دل على أمرين (احدهما) أن بعض

الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهى نار فعل وان الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لافيما قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ماشاء ربك من الأشقياء فإنهم لايخلدون فيها ويكون الأشقياء نوعين نوعا يخرجون منها ونوعا يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولا ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة فى وقتين قالوا وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقابا لايذوقون فيها برداً ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا ، إنهم كانوا لايرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا) فهذا صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الابدى بهذه الأحقاب ولا غيرها كما لايقدر به القديم ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبى بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه (ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقابا)

(فصـــل)

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق (أحدها) اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لايختلفون فيه وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع (الطريق الثانى) ان القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فإنه سبحانه أخبر انه عذاب مقيم وانه لايفتر عنهم وانه لن يزيدهم إلا عذابا وانهم خالدين فيها أبداً وما هم بخارجين من النار وما هم منها بمخرجين وان الله حرم الجنة على الكافرين وانهم لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وانهم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأن عذابها كان غراما أى مقيما لازما قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره (الطريق الثالث) ان السنة المستفيضة اخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من اولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين وان هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان (الطريق الرابع) أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها . الطريق الخامس ، ان عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لايفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع (الطريق السادس) ان العقل يقضى بخلود الكفار فى النار وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أولا يعلم إلا بالسمع فيه طريقتان لنظار المسلمين وكثير منهم يذهب إلى ان ذلك يعلم

بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن فى غير موضع كانكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار فى المحيا والممات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا وانهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم وذلك يقدح فى حكمته وكماله وأنه نسبه إلى مالا يليق به وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفـــارقها وان ندمت عليهـــا لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أوكراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولا قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنـا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعـادوا لمـا نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهؤلاء قد ذاقوا العـذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفارا كما كانوا وهـذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع ، قال أصحاب الفناء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة .

(فأما الطريق الأول) فالاجماع الذى ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الاجماع فى هـذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديما وحديثـا بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال إن النار لا تفنى أبدا لم يجد إلى ذلك سبيلا ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا ، قالوا والاجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ولم يوجد واحد منها فى هذه المسألة « النوع الأول » ما يكون معلوما من ضرورة الدين كوجوب أركان الاسلام وتحريم المحرمات الظاهرة « الثانى » ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه «الثالث» أن يقول بعضهم القول وينتشر فى الأمة ولا ينكره أحد فاين معكم واحد من هذه الأنواع ولو أن قائلا ادعى الاجماع من هذه الطرق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم ، قالوا « وأما الطريق الثانى » وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فاين فى القرآن دليل واحد يدل على ذلك نعم الذى دل عليه القرآن أن الكفار خالدين فى النار أبدا وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وانهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع فى أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء . وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فلم يختلف فى ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف فى ذلك من قد حكينا أقوالهم من

اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص. وأمثالها نصفى خلودهم فى دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله و بين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه « قالوا وأما الطريق الثالث ، وهو مجىء السنه المستفيضه بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك فهى حق لاشك فيه وهى إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا « قالوا وأما الطريق الرابع ، وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة فلاريب انه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فاين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك « قالوا وأما الطريق الخامس ، وهو أن فى عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لايفنيان أبدا فلاريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين . وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع أنه لايعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لاخبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم ، قالوا والقول الذى يعد من أقوال أهل البدع ماخالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة أما الصحابة أومن بعدهم ، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من أقوال أهل البدع وان دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول « الله حكم قسط هلك المرتابون ان من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبى والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى ابتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فأن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم . فأن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فان على الحق نورا ، قالوا وكيف زيغة الحكيم . قال هى الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه . فاحذروا زيغته ولاتصدنكم عنه فانه يوشك أن يفى. وأن يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما إلى يوم القيامه »

والذى أخبر به أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان و أن أهل النار لايخرجون منها ولا يخفف عنهم عذابها و لا

يفتر عنهم وانهم خالدون فيها . ومن ذكر منهم ان النار لا تفنى أبدا فانما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها (قالوا وأما حكم العقل) بتخليد أهل النار فيها فأخبار عن العقل بما ليس عنده فان المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق (وأما أصل الثواب والعقاب) فهل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم إلا بالسمع وحده ؟ فيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم . والصحيح ان العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالا وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده وإنما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين وأما انقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق.

(فصل)

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا وذلك يظهر من وجوه (احدها) أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنها مؤصدة عليهم وانهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وان عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر (الوجه الثاني) ان النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم ابديتها « الأولى » قوله سبحانه وتعالى (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) « الثانية » قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) « الثالثة » قوله (لابثين فيها أحقابا) ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الإستثناءين في الموضعين واحدا كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الإستثناءين فانه قال في أهل النار (ان ربك فعال لما يريد) فعلمنا انه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلا لم يخبرنا به ، وقال في أهل الجنة عطاء غير مجذوذ فعلمنا ان هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم ابدا فالعذاب موقت معلق والنعيم ليس بموقت ولا معلق (الوجه الثالث) أنه قد ثبت ان الجنة يدخلها من لم يعمل خيرا قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار . أما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءا قط ولا يعذب إلا من عصاه .

(الوجه الرابع) أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشىء للجنة خلقا آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار والحديث الذى قد ورد فى صحيح البخارى من قوله « وأما النار فينشىء الله لها خلقا آخرين » غلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخارى فى الباب نفسه وأما الجنة فينشىء الله لها خلقا آخرين ذكره البخارى رحمه الله مبينا أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا . والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة فى التأبيد مع هذه الفروق (يوضحه الوجه الخامس) أن الجنة من موجب رحمته ورضاه والنار من غضبه وسخطه ، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه كما جاء فى الصحيح من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده موضوع على العرش إن رحمتى تغلب غضبى » وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعا (يوضحه الوجه السادس) أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه » (يوضحه السابع) وهو أنه سبحانه قال للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء وقال للنار أنت عذابى أعذب بك من أشاء وعذابه مفعول منفصل ، ناشىء عن غضبه ، ورحمته ههنا هى الجنة وهى رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التى هى صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هى وصفه سبحانه . وثواب منفصل هو ناشىء عن رحمته . وغضب يقوم به سبحانه وعقاب منفصل ينشأ عنه فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى . فلا تقاوم النار التى نشأت عن الغضب الجنة التى نشأت عن الرحمة (يوضحه الوجه الثامن) أن النار خلقت تخويفا للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين ، فهى طهرة من الخبث الذى اكتسبته النفس فى هذا العالم فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وإن لم تتطهر فى هذه الدار ووافت الدار الآخرى بدرنها ونجسها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها فى النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التى لا يغسلها الماء فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فلو خلوا وفطرهم لما نشؤا الا على التوحيد ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها ، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة .

وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله فأرسل الله رسله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذى أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة ، ان تكتسب نفوسهم خبثا ونجاسة ودرنا يعلق بها ولا يفارقها . بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره ، وكمل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكانا قابلا مستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه فقال ههنا أمرت . وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما) واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له فان قيل هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصي الموحدين أما إذا كان لازما كالكفر والشرك فان أثره لا يزول كما لا يزول السبب ، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه . (منها) قوله تعالى (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك وأنها غير قابلة للايمان أصلا (ومنها) قوله تعالى : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » فاخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فان موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم . (ومنها) قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا يدل على أنه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره ، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله « أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير » فلو كان عند هؤلاء أدنى أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين (قيل) لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به في المسئله وإن الأمر لكما قلتم ، وان العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولا ريب انهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم

دائم ماداموا كذلك . ولكن هل هـذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتى لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارىء على الفطرة قابل للزوال ! هـذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتى وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده فاذا كان هـذا الحق الذى قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فامكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحـرى . ولا ريب انهم لوردوا على تلك الحال التى هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم ان تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة اخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا اخذت النار مأخذها منهم ، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فأن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة فاذا حصلت تلك الحكمة لم يبق فى التعذيب امر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يتشفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وان تألم به غاية الألم كما ان عذابه بالحدود فى الدنيا مصلحة لأربابها . وقد سمى الله سبحانه الحد عذابا وقد اقتضت حكمته سبحانه ان جعـل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من اشق الأدوية . والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كيا بعد كى ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وان راى قطع العضو اصلح للعليل قطعه واذاقه اشد الألم فهذا قضاء الرب وقدره فى إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعه المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته . وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره فى الدنيا وثوابه وعقابه فى الآخرة وجد ذلك فى غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فان مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة واحسان وعدل

(الوجه التاسع) أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته لا لمنفعة تعود اليه ولا لدفع مضرة وألم يزول بالعقوبة بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ولا هى عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فانه أيضا يتنزه عن ذلك ويتعالى عنـه . فاما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبابه ، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم او لهذا ولهذا ، وعلى التقادير الثلاث فالتعذيب امر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها . ونعيم اوليائه ليس متوقفا فى اصله ولا فى كماله على استمرار عذاب اعدائه ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست فى الدوام والاستمرار وإن كان فى اصل التعذيب مصلحة لهم .

(الوجه العاشر) أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» فاذا كانت رحمته غلبت غضبه فان رضى نفسه أعلى وأعظم ، فان رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل مافيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا ، وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان والناس لهم في صفة الغضب قولان (أحدهما) إنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله (والثاني) أنه صفة فعل بنفصل عنه غير قائم به وعلى القولين فليس كالعلم والحياة والقدرة التي يستحيل مفارقتها له والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سعرت النار إلا بغضبه . وقد جاء في أثر مرفوع «إن الله خلق خلقا من غضبه وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه» ، فمخلوقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد فاذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقي عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة . (فإن قيل) هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لايسمى عقوبة . وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة (قيل) هذا حق ولكن لاينافي كونه رحمة بهم وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لايليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له ندا له وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولي الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه . فالمعطلون نوعان (أحدهما) عطل صفاته و (الثاني) عطل أحكامها وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من

جهة الرحمة السابقه للغضب فاجتمع فيه الأمران . فاذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيير الطبيعة المقتضية لها فى الجحيم بمرور الأحقاب عليها وحصلت الحكمة التى أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض (يوضحه الوجه الحادى عشر) وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقــام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة والرضا أحب إليه من الغضب ، والفضل أحب إليه من العدل ، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة فى شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده فى ثوابه وعقــابه ، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شىء لاقصور فيها بوجه ما ، وتلك المواد الردية الفاسدة مرض من الأمراض وبيده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء ، وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق ، والعبيد أعظم حاجة إلى من يداوى علته التى بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عرف العبد انه عليل وأن دواءه بيد الغنى الحميد ، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له ، وان الخلق كله له وأنه هو الظلوم الجهول وان ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لابيعض عدله وان له غاية الحمد فيما فعل به ، وأن حمده هو الذى أقامه فى هذا المقام وأوصله إليه وانه لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه وأنه لانجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص وربه تعــالى أولى بكل حمد وكمال ومدح . فلو أن أهل الجحيم شهدوا رحمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذى أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم فى تلك الحال وقالوا ان كان مانحن فيه رضاك فرضاك الذى نريد ، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب مالايرضيك فأما إذا أرضاك هذا فرضاك غاية مانقصده (وما لجرح إذا أرضـــاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله عاقبت أوعفوت لانقلبت النار عليهم بردا وسلاما ، وقد روى الإمام أحمد ، فى مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبى ﷺ قال « يأتى أربعة يوم القيامة رجل أصم لايسمع شيأ ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة ، فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيئا . وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر . وأما الهرم فيقول ربى لقد جاء الاسلام وما أعقل شيأ . وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك من رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار . قال فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما » .

وفى المسند أيضا من حديث قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة مثله وقال « فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها » ، فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم

وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب فى حقهم نعيما » ومثل هذا « ماروا‌ه عبد الله بن المبارك حدثنى رشدين قال حدثنى ابن أنعم عن أبى عثمان أنه حدثه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن رجلين ممن دخــلا النار يشتد صياحهما فقال الرب جل جلاله أخرجوهما فإذا أخرجا فقــال لهما لأى شىء اشتد صياحكما ؟ قالا فعلنا ذلك لترحمنا ، قال رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك فيقول رب انى أرجوك أن لاتعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها . فيقول الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله » وذكر الأوزاعى ، عن بلال بن سعد قال: « يؤمر بإخراج رجلين من النــار فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ! فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير صار إليه العباد فيقول لهما بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال فيؤمر بصرفهما إلى النار فأما أحدهما فيغدو فى أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا فى أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها ماحملك على ماصنعت وقد خرجت منها فيقول إنى خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيا ويقول للذى تلكأ ماحملك على ماصنعت . فيقول حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لاتردنى إليهــا فيرحمهما جميعــا ويأمر بهما إلى الجنة » « الوجه الثانى عشر » ان النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فإنمــا هو من مخلوقاته ، ولذلك لايسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم » وقال تعالى « اعلموا ان الله شديد العقاب . وان الله غفور رحيم) وقال تعالى « إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم » ومثلها فى آخر الأنعــام ، فما كان من مقتضى اسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولاسيما إذا كان محبوبا له وهو غاية مطلوبة فى نفسهــا وأما الشر الذى هو العذاب فلايدخل فى اسمائه وصفاته وإن دخل فى مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير فانه سبحانه دائم المعروف لاينقطع معروفه ابدأ وهو قديم الاحســــان ابدى الاحسان فلم يزل ولايزال محسنا على الدوام وليس من موجب اسمائه وصفــاته انه لايزال معاقبا على الدوام غضبان على الدوام منتقما على الدوام . فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه فى باب اسماء الله وصفاته يفتح لك بابا من ابواب معرفته ومحبته ([illegible] الوجه الثالث عشر) وهو قول أعلم خلقه به [illegible] أعرفهم بأسمائه وصفاته ([illegible] إليك) ولم يقف على المعنى المقصود من قال [illegible]

لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ولا فى أسمائه فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وافعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لاشر فيها بوجه ما ، واسماؤه كلها حسنى فكيف يضاف الشر إليه بل الشر فى مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر ، وإذا كان الشر مخلوقا منفصلا غيرقائم بالرب سبحانه فهو لايضاف إليه وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل أنت لاتخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله وإنما نفى إضافته إليه وصفاً وفعلا واسما .

وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه ، وهى ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها . وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولا هى الغاية التى خلق لها الخلق فهى مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فاذا حصل ماقدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض (الوجه الرابع عشر) أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شىء فليس شىء من الأشياء إلا وفيه رحمته ولا ينافى هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فان ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم . وقد ذكرنا حديث أبى هريرة آنفا وقوله تعالى لذينك الرجلين . رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار. وقد جاء فى بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال اللهم ارحمه يقول الرب تبارك وتعالى كيف أرحمه من شىء به أرحمه فالابتلاء رحمة منه لعباده (وفى أثر الهى) يقول الله تبارك وتعالى . « أهل ذكرى أهل مجالستى . وأهل طاعتى أهل كرامتى ، وأهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل معصيتى لاأقطنهم من رحمتى إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصايب لأطهرهم من المعايب » . فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لاتزول إلا بها والنار هى الدواء الأكبر فن تداوى فى الدنيا أغناه ذلك عن الدواء فى الآخرة وإلا فلا بدله من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده وتحببه إلى عباده وإرادة الأنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله (يوضحه الوجه الخامس عشر) أن أفعاله سبحانه لاتخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثا ولا جوراً ولا باطلا بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص . وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم

إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس فى الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائما بدوام الرب تبارك وتعالى وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم فليست مصلحتهم فى بقائهم فى العذاب كذلك ، وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل فى نعيمهم فهذا لا يقتضى تأبيد العذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفا على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم فى العذاب السرمد . فإن قلتم إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم مالا يعقل ، وإن قلتم إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين (أحدهما) أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك (والثانى) أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن فى انقضائه ما ينافى كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له . وغاية الأمر على هذا التقدير أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التى لا تعلل لم تقتضه أيضا وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه مايقتضيه (الوجه السادس عشر) أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فى المعذبين فإنه انشأهم برحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وارسل إليهم الرسل برحمته ، واسباب النقمة والعذاب متأخرة عن اسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقة تكون رحمته إليهم اقرب من غضبه وعقوبته ، ولهذا ترى اطفال الكفار قد التى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم ، فكانت هى السابقة إليهم ففى كل حال هم فى رحمته فى حال معافاتهم وابتلائهم وإذا كانت الرحمة هى السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضى رحمتهم وما منهم يقتضى عقوبتهم والذى منه سابق وغالب وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى (الوجه السابع عشر) أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم ، وعذاب يوم اليم ، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا فى موضع واحد ، وقد ثبت فى الصحيح تقدير القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها ، وما اريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك واما ما كان للآخرة واريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل

لها أجل تنتهى إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به ، وأما ماأريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به مالا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به ، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لاتزول لم يزل ماتعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه ، وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد فاذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ماكان فيها لغيرالله من الأعمال والذوات وانقلب عذابا وآلاما لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم (الوجه الثامن عشر) أنه ليس فى حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذابا سرمداً لانهاية له ولا انقطاع أبداً وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم وأنه أحكم الحاكمين فاذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجد التعذيب والعقوبة فى الدنيا فى شرعه وقدره فان فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ماتشهده العقول الصحية وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغيرذلك من الحكم والغايات الحيدة مالا يعلمه إلا الله ، ولا ريب أن الجنة طيبة لايدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المطلسة التى لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه لايصلح أن تسكن دار السلام فى جوار رب العالمين ، فاذا عذبوا بالنار عذاباً تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافى الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول فى الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة ، أما خلق نفوس لايزول شرها أبداً وعذابها لاانتهاء له فلا يظهر فى الحكمة والرحمة وفى وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتا هى شر من كل وجه ليس فيها شىء من خير أصلا وعلى تقدير دخوله فى الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها فالله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها فى النشأة الثانية نوعا آخر من الرحمة (يوضحه الوجه التاسع عشر) وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشىء للجنة خلقا آخر يسكنهم إياها ولم يعملوا خيرا تكون الجنة جزاء لهم عليه فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وأنها فى هذه الحال كانت

فى تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل وشاء كتب العقوبة طلبا لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى لم يكن فى حكمته ان يستمر بها فى العذاب بعد ذلك إذ قد تبدل شرها بخيرها ، وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها ، ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)

فان هذا قبل مباشرة العذاب الذى يزيل تلك الخبائث وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول فانه سبحانه قال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ، فأما إذا لبثوا فى العذاب أحقابا والحقب كما رواه الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحقب خمسون ألف سنة » فأنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة فى العذاب . (الوجه العشرون) انه قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث الشفاعة « فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه » فهؤلاء احرقتهم النار جميعهم فلم يبق فى بدن أحدهم موضع لم تمسه النار بحيث صاروا حمما وهو الفحم المحترق بالنار ، وظاهر السياق انه لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير فان لفظ الحديث هكذا « فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط » فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير ومع هذا فأخرجتهم الرحمة ومن هذا رحمته سبحانه للذى اوصى اهله ان يحرقوه بالنار ويذروه فى البر والبحر زعما منه بأنه يفوت الله سبحانه فهذا قد شك فى المعاد والقدرة ولم يعمل خيرا قط ومع هذا فقال له ما حملك على ما صنعت ! قال خشيتك وانت اعلم فما تلافاه ان رحمه الله فلله سبحانه فى خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر وقد ثبت حديث انس رضى الله ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال · « يقول الله عز وجل اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام ، قالوا ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من اولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوما واحدا ولا خافه ساعة واحدة ولا ريب ان رحمته سبحانه إذا اخرجت من النار من ذكره وقتا او خافه في مقام ما ، فغير بدع ان تفنى النار ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار

(الوجه الحادي والعشرون) ان اعتراف العبد بذنبه حقيقة الإعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم اليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعي رحمته له وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه والرحمة معه ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه فانه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك ، وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنة قال قال رسول صلى الله علية وسلم : « ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله ان يسعى فيقول يارب بلغ بي الجنة ونجني من النار فيوحي الله تبارك وتعالى اليه عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار ، فيوحي الله اليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحي الله اليه عبدي ان لي عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالا فلا يرى أحداً فيقول يارب أرني بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عندي وعزتك العظائم فيوحي الله اليه عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه ؟ فالرب تعالى يريد من عبده الإعتراف والإنكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته » فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمة فاذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك فتدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته وقد أخبر انه فعال لما يريد

(الوجه الثاني والعشرون) انه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصي من الكبائر وقيده بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه (فمنها) قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمداً

فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » (ومنها) قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلدا فيها أبداً » وهو حديث صحيح . وكذلك قوله في الحـــديث الآخر في قاتل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هـذا قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) فهذا وعيد مقيـد بالخلود والتأبيد مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد . فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمتـه غضبه ، فلو يعلم الـكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما في صحيح البخـــاري عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال في آخره فلو يعلم الـكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النـار » (الوجه الثالث والعشرون) انه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عـذاب النار لا انتهاء له وانه أبدي لا انقطاع له ، لـكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده . وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم ان اخلافه كرم وعفو وتجاوز يمـدح الرب تبارك وتعـالى به ويثنى عليـه به فانه حق له إن شاء تركه وان شاء استوفاه والـكريم لا يستوفى حقه فـكيف بأكرم الأكرمين ؟ !! .

وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده ، وقد روى أبو يعلى الموصلي ثنا هدبة بن خالد ثنا سهيـل ابن أبي حزم ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيـه الخيار » وقال أبو الشيخ الأصبهاني ثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد بن الخليل ثنا الأصمعي قال : « جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده ؟ قال لا ، قال أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا ايخلف الله وعيده عليه ؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعـــد شراً ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله ، قال فأوجدني هـذا في كلام العرب قال نعم أما سمعت إلى قول الأول .

ولا يُرهب ابن العم ما عشت سطوتي ولا أختشي من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وان شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم ، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

نبئت أن رسول الله أوعدني ٭ والعفو عند رسول الله مأمول

فإذا كان هذا في وعيد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله ان ربك فعال لما يريد وهذا إخبار منه أنه يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ما شاء ربك فهو عائد اليه ولا بد ولا يجوز أن يرجع إلى المستثني منه وحده بل إما أن يختص بالمستثنى أو يعود اليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله إلا ما شاء ربك أولى من تعلقه بقوله خالدين فيها وذلك ظاهر للتأمل وهو الذي فهمه الصحابة فقالوا أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضا وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله ان ربك فعال لما يريد وهذا التعقيب نظير قوله في الأنعام (خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) فأخبر ان عذابهم في جميع الأوقات ورفعه عنهم في وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك ، (الوجه الرابع والعشرون) أن جانب الرحمـــة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهـــا من دابة) وقال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) فلولا سعـــة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هـــذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعي في مساخطته فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة على ما في هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفا . وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس ونهكها العذاب وأذاب منها خبثا وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوى جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة في هـــذه الدار واضمحل الشر

والخبث الذى فيها فأذابته النار وأكلته ، وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الإنتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الإنتقام ، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهى التى سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شىء وما خلق بها فمطلوب لذاته ، وما خلق بالغضب فمراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير ، والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل .

(الوجه الخامس والعشرون) انه سبحانه لا بد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين ، ويظهر لهم حكمه الذى هو أعدل حكم فى أعدائه وأنه حكم فيهم حكما يحمدونه هم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين ولذلك قال تعالى . « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وان ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه قال الحسن لقد دخلوا النار وان قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلا » وهذا هو الذى حسن حذف الفاعل من قوله « قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها » حتى كان الكون جميعه قائل ذلك لهم إذ هو حكمة العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده » وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها وان ذلك من كمال حمده الذى هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك ، ولا يحسن بها سواه ، بحيث تعترف هى من ذواتها بأنها أهل ذلك ، وأنها أولى به حصلت الحكمة التى لأجلها وجد الشر وموجباته فى هذه الدار وتلك الدار » وليس فى الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائما لا نهاية لها ولا انقطاع أبداً فتكون هى والخيرات فى ذاك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين فى هـــذه المسئلة ولعلك لا تظفر به فى غير هذا الكتاب ، فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم فى هـــذه المسئلة العظيمة الشأن : التى هى أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل إلى قوله تبارك وتعالى : « إن ربك فعال لما يريد » وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنـة وأهل النار النار وما يلقـاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء ، بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا فى هـــذه المسئلة بل فى الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه وهو المان به وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان

والله ورسوله برىء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده والله أعلم (١) .

الباب الثامن والستون

(فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا اليها)

فى الصحيحين من حديث منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال فيقول أتسخر بى وتضحك بى وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » (وفى صحيح مسلم) من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها هنا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه » وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيى الزرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوى قال حدثنى أبى عن أبيه قال حدثنى أبو يحيى الكلاعى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه

---

(١) القول بفناء النار من فظائع ابن تيمية وابن القيم ، والأدلة المذكورة فى هذا الباب لا تنتج المطلوب لأنها مبنية على مغالطات ومراوغات .

أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول يا رب بلغ بى الجنة ونجنى من النار ، فيوحى الله تبارك وتعالى اليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنـــة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار فيوحى الله إليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنه فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه عبدى أن لى عليك بينه فيلتفت العبـــد يمينا وشمالا فلا يرى أحد فيقول يارب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فاذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عندى وعزتك العظائم فيوحى الله اليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنـــة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليـــه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه ، ورواه ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان به (وفى صحيح مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتلسعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترتفع له شجرة فيقول أى رب أدننى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم لعلى ان أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأل غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لاصبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول يا رب أدننى من هذه لا شرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها ؟ فيقول لعلى إن أدنيتك منها أن تسألنى غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منهـــا فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين ، فيقول أى رب أدننى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعـــذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقـــول يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك منى أيرضيك أنى أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال يارب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقـال ألا تسألونى مم أضحك ؟ قالوا

مم تضحك ؟ قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله ؟ قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء بى وأنت رب العالمين ، فيقول لا أستهزىء بك ولكن على ما أشاء قادر » . وفى صحيح البرقانى من حديث أبى سعيد الخدرى نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو باسناد مسلم سواء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه ، وان أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل فقال أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة لأكون فى ظلها فقال الله عز وجل هل عسيت ان فعلت ان تسألنى غيره قال لا وعزتك فقدمه الله اليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى فقال أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال فقال هل عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ، قال لا وعزتك فيقدمه الله اليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول أى رب قدمنى إلى هذه التجرة فأكون فى ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول هل عسيت ان فعلت ذلك ان تسألنى غيره فيقول لا وعزتك لا أسئلك غيره فيقدمه الله اليها فتبرز له الجنة فيقول أى رب قدمنى إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة ، وفى رواية « تحت نجاف الجنة (١) أنظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول أى رب أدخلنى الجنة فيدحله الجنة ، فاذا دخل الجنة قال هذا لى فيقول الله له تمن قال فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فاذا انقطعت به الأمانى قال الله هو لك وعشرة أمثاله ، قال ثم يدخل بيته ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان الحمد لله الذى احياك لنا وأحيانا لك فيقول ما أعطى أحد مثل ما اعطيت » وفى (صحيح مسلم) من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سأل موسى ربه من أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال هو رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا اخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقال ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول فى الخامسة رضيت رب فيقول لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال فاعلاهم منزلة قال ذلك الذى أردت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصداقه فى كتاب الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » .

---

(١) فى النهاية : قيل هو — أى النجاف بكسر النون ـ اسكفة الباب وقال الأزهرى هو درو نده يعنى أعلاه . ع

الباب التاسع والستون

(وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب)

فصل

(فى لسان أهل الجنة)

قال ابن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثنى رواد بن الجراح العسقلانى ، ثنا الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلون » (وروى) داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لسان اهل الجنة عربى » وقال عقيل قال الزهرى : لسان اهل الجنة عربى .

(فصل)

(فى احتجاج الجنة والنار)

فى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين ، فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابى اعذب بك من اشاء ، وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها » وفى رواية اخرى « تحاجت النار والجنة فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم (١) فقال الله سبحانه للجنة : « انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ملؤها » فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه احداً ، واما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقا .

(فصل)

(فى ان الجنة يبقى فيها فضل فينشىء الله لها خلقا دون النار)

فى الصحيحين عن انس بن مالك عن النبى صلى الله علية وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى

---

(١) (سقطهم) وادوانهم (وعجزهم) بفتح العين والجيم جمع عاجز كخادم وخدم يريد الأغبياء العاجزين فى امور الدنيا اه من النهاية . ع

فيها وتقول هل من مزيد . حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة وفى لفظ مسلم « يبقى من الجنة ماشاء الله أن يبقى ثم ينشىء الله سبحانه لها فيسكنهم فضل الجنة » وفى لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما يشاء » وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة « وانه ينشىء للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد » فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده فان الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فانه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء) ولا يظلم الله أحداً من خلقه .

(فصـــل)

(فى امتناع النوم على أهل الجنة)

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « النوم أخو الموت وأهـــل الجنة لا ينامون » (وذكر) الطبرانى من حديث يحى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : « سئل نبى الله ﷺ فقيل أينام أهل الجنة ؟ فقال النبى ﷺ : النوم أخو الموت واهـــل الجنة لا ينامون » .

(فصـــل)

(فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها)

قال الإمام أحمد ثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » .

فصـــل

(فى إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وإن لم يعملوا عمله)

قال تعالى (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من

عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين) وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا وأتبعنهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين » (وذكر) ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يا رب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا وأتبعنهم ذرياتهم بإيمان) إلى آخر الآية ، وقد اختلف المفسرون فى الذرية فى هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان ؟ على ثلاثة أقوال واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين فقالت طائفة المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم فى الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (واتبعتهم ذريتهم) جعل الفعل فى الاتباع لهم ، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار كما قال « ومن ذريته داود وسليمان » وقال « ذرية من حملنا مع نوح » وقال (وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) وهذا قول الكبار العقلاء ، (قالوا) ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه « إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه » فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغون بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وان تقاصر عملهم عنها (قالوا) وأيضا فالإيمان هو القول والعمل والنية وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية وان كانوا دونه فى الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلا لنعيمه وهذا كما أن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم معه فى الدرجة تبعا وان لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن (وقالت طائفة أخرى) الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم فى إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وان كانوا صغاراً فى الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن فى قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين أى واتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء (قالوا) ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب فانهم مستقلون بانفسهم ليسوا تابعين الآباء فى شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام

الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم فى درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون فى درجة السابقين ، (قالوا) ويدل عليه أيضا أنه سبحانه جعلهم معهم تبعا فى الدرجة كما جعلهم تبعا معهم فى الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعا بل إيمان استقلال (قالوا) ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنـــازل فى الجنة بحسب الأعمال فى حق المستقلين وأما الأتباع فان الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم وأيضا فالحور العين والخدم فى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم ، (وقالت فرقة منهم الواحـــدى) الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمـــان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب ، (قالوا) والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والإبن والأب كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) أى آباءهم ، والإيمان يقع على الإيمان التبعى وعلى الاختيـــارى الكسبى فمن وقوعه على التبعى قوله « فتحرير رقبة مؤمنة » فلو أعتق صغيراً جاز (قالوا) وأقوال السلف تدل على هذا قال سعيد ابن جبير عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية . وقال ابن مسعود فى هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عينه وان لم يبلغوا ذلك ؛ وقال أبو مجلز يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا فى الدنيا ، وقال الشعبى أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة ، وقال الكلبى عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء وان كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء ، وقال ابراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئا قال ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ « واتبعتهم ذريتهم » فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل اليهم كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ومن قرأ « وأتبعناهم ذرياتهم » فهذا فى حق الصغار الذين اتبعهم الله اياهم فى الإيمان حكما فدلت القرآتان على النوعين . قلت واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئـــلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين فى الدرجات ولا يلزم مثل هذا فى الصغار فان أطفال كل رجل وذريته معه فى درجته والله أعلم .

(فصل)

(فى أن الجنة تتكلم)

قد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « احتجت الجنة والنار » وقوله « قالت الجنة يا رب قد اطردت أنهارى . وطابت ثمارى فعجل على بأهلى » وقال إسماعيل ابن ابى خالد عن سعيد الطائى « أخبرت ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها تكلمى فتكلمت فقالت طوبى لمن رضيت عنه » وقال قتادة « لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى فقالت طوبى للمتقين » وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون » .

(فصل)

(فى أن الجنة تزداد حسنا على الدوام)

قال عبد الله بن أحمد ثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال : « ما نظر الله إلى الجنة إلا قال طيبى لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها » .

(فصل)

(فى أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن)

كما تقدم حديث معاذ بن جبل فى ذلك . وقول الحوراء لامرأته فى الدنيا لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك الينا . وحديث عكرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الحور العين اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك ، وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال : كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إذا نزلوا فهو يصلى وان أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهبا وجائيا فلما أراد أن يفارقه قال له يا أخى أخبرنى

ما الذى هيجك إلى ما رأيت ؟ قال رأيت فى النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجدة وشرفة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينثنى معها كلما تثنت ، فقالت جد إلى الله فى طلبى فقد والله جددت اليه فى طلبك فهذا الذى تراه فى طلبها . قال أبو سليمان هـذا فى طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها .

(فصـــل)

(فى ذبح الموت بين الجنة والنار)

قال الله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ، ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » متفق عليه . وفى الصحيحين ايضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل اهـــل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه » وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادى يا أهـل الجنة « موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا ويزداد أهل النار حزنا إلى جهنم وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار اتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين اهل الجنة واهـــل النار ثم يقال يا اهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا اهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال يا اهل الجنة خلود لاموت ، ويا اهل النار خلود لا موت » رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وهـذا الكبش والاضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقه لا خيال ولا تمثيـــل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحا وقال الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلا عن ان يذبح وهـذا لا يصح فان الله سبحانه ينشىء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشىء من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشىء من الأعراض اجساما تكون الأعراض مادة لها وينشىء من

الأجسام اعراضا كما ينشىء سبحانه من الأعراض اعراضا ومن الأجسام اجساما فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعا بين النقيضين ولاشيأ من المحال ولاحاجة إلى تكلف من قال ان الذبح لملك الموت فهذا كله من الإستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذى لا يوجبة عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه فظن هذا القائل ان لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذى ذكرناه وأن الله سبحانه ينشىء من الأعراض أجساما ويجعلها مادة لها كما فى الصحيح عنه ﷺ « تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان » الحديث فهذه هى القراءة التى ينشئها الله سبحانه غمامتين وكذلك قوله فى الحديث الآخر « ان ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن » ذكره أحمد وكذلك قوله فى حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التى يراها « فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء » وهذا حقيقة لا خيال ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذى يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نورا يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل (وقال) سعيد عن قتادة بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة فتقول له من أنت فو الله إنى لأراك امرأ الصدق فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة . وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فو الله إنى لأراك امرأ السوء فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار » وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم) والكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه فى النار ، وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن انه ذكر هذه الآية (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) قال علموا ان كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين قيل لا ، قالوا ان هذا لهو الفوز العظيم وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم فى جوار الله طول المقام ثم يبكى حتى تجرى دموعه على لحيته .

(فصــل)

(فى ارتفاع العبادات فى الجنة إلا عبادة الذكر فانها دائمة)

(روى) مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس » وفى رواية « التسبيح والتكبير كما تلهمون » بالتاء المثناة من فوق أى تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

(فصــل)

(فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا)

قال الله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إنى كان لى قرين) الآيات وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه : « إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكىء هذا ويتكىء هذا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه نعم يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا » وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم فى الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى فان المذاكرة فى الدنيا فى ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك فى الجنة أعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم .

﴿ الباب السبعون ﴾

(فى ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره)

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها) وقال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين

آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) وقال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وقال تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) وقال تعالى (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) وقال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) وقال فى الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) إلى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وفى المسند وغيره أن النبى ﷺ قال : « قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر آيات » وقال تعالى (ان المسلمين والمسلمات) إلى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وقال تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) وقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقـــون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) إلى قوله (وبشر المؤمنين) وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وهذا فى القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليهـــا دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهى تجتمع فى أصلين اخلاص فى طاعة الله وإحسان إلى خلقه وضدها يجتمع فى الذين يراؤن ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة الرب تبارك وتعالى فى محابه ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به إيجابا واستحبابا كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الشافعى رحمه الله : الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه ، وكأنه أخذ هذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيراً مما نقول » وقد ذكرنا فى أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التى أجمعوا عليها كما حكاه الأشعرى عنهم ونحن نحكى إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال فى مسائله المشهورة هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيأ من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق قال وهو مذهب احمد واسحق ابن ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصـــور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم أن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص . ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا إنما هى سنة

ما ضية عند العلماء فاذا سئل الرجل أمؤمن أنت فانه يقول أنا مؤمن ان شاء الله . أو مؤمن ارجو ، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجيء . ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجيء ، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن لم ير الاستثناء فى الإيمان فهو مرجيء . ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجيء . ومن زعم أن المعرفة فى القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجيء . والقدر خيره وشره قليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده . وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واقعون فيما قدر عليهم وهو عدل منه جل ربنا وعز ، والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصى كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، وعلم الله عز وجل ماض فى خلقه بمشيئه منه فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها ، وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته ، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاؤا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى ، وأى افتراء على الله أكبر من هذا ؟ ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى فى سابق علمه ؟ فان قال لا فقد زعم أن مع الله خالقا وهذا الشرك صراحا ، ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الانسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذى قضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله وأى كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه فى خلقه وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد . ومن أقر بالعلم لزمه الاقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة . ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء فى حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه فى الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاه إلا أن يكون فى ذلك حديث كما

جاء على ما روى ولا بنص الشهادة والخلافة فى قريش ما بقى من الناس اثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء ، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا ، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وان أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والإمساك فى الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فان ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف لسانك ويدك وهواك . والله المعين . والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحدا منهم بذنب ، ولا تخرجه عن الاسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء ، وما روى فصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الاسلام فاتبع ذلك ولا تجاوزه . والأعور الدجال خارج لا شك فى ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين ، وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار . ومنكر نكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات ، وحوض محمد ﷺ حق ، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه ، والصراط حق يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن . والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب . والجنة والنار . واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء . والقلم حق كتب الله به مقادير كل شىء وأحصاه فى الذكر ، والشفاعة يوم القيامة حق ، يشفع قوم فى قوم فلا يصيرون إلى النار . ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبدا وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل ، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فاذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل « كل شىء هالك إلا وجهه » وبنحو

هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وهو يعلم ما فى السموات والأرضين وما بينهما وما تحت الثرى ، وما فى قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات . ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به فان احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ، وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) ونحو هذا من متشابه القرآن فقل إنما يعنى بذلك العلم ان الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان . ولله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد . والله عز وجل سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، ولا يسهو ، قريب لا يغفل ، ويتكلم وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ، ويحب ويكره ويبغض ، ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطى ويمنع وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته ، والسموات والأرض يوم القيامة فى كفه ، ويضع قدمه فى النار فتنزوى ويخرج قوما من النار بيده ، وينظر إلى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلى ذلك غيره عز وجل ، والقرآن كلام الله الذى تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ، ومن زعم أن

ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهـو جهمي ، وكلم الله موسى تكليما منه إليه ، وناوله التوراة من يده إلى يده ، ولم يزل الله عز وجل متكلما ، والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثا فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العـالم على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيا فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء ؟ وبلغني ان من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقد روى عن النبي ﷺ : « ان رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال : « ان الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيأ من مساويهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقـد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فان تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع ، ونعرف للعرب حقهـا وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ فان حبهم إيمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فان قولهم بدعة ، ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المـال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فان ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف ، والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبـار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضا حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتـدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ، ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف إلى أن قال فهـذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر وأصحاب الروايات وحمـلة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل

صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا نخليطوهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه . قلت حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنهما مسائل جليلة وأخذ عن سعيد بن منصور وعبـــد الله بن الزبير الحميدى وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها . ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقا لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مراراً وقد جمعت منه فى مسئلة علو الرب تعـــالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفرا متوسطا فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولا وعملا واعتقادا وبالله التوفيق (١) .

(فصـــل)

(ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجنة)

قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال إذا مر بهم الطير ليشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بمـــا اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام ، قال فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (قال سعيد) عن قتادة قوله تعالى دعواهم فيهـا سبحانك اللهم يقول ذلك دعاؤهم فيها وتحيتهم فيها سلام (وقال) الأشجعى سمعت سفيـــان الثورى يقول إذا أرادوا الشىء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم ما دعوا به ومعنى هـــذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به (وذكر) سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال : « سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله فقـــال تنزيه الله عن السوء » وسأل ابن الكواء عليا عنها فقال كلمة رضيها الله تعالى لنفسه ، وقال حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال : « سألت رسول الله ﷺ

---

(١) مر فيه ما تركناه بعضى بلا تعليق حتى لا نرد بمذهب على مذهب . ع

عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء ، فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيأ قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم عند مايحصل لهم . وهو قولهم الحمد لله رب العالمين ومعنى الآية اعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسئلة وفى الحديث أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين فهذا دعاء وثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة فاخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس . وفى هذا إشارة إلى أن التكليف فى الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التى يلهمونها ، وفى لفظة اللهم إشارة إلى صريح الدعاء فأنهـا متضمنة لمعنى يا الله فهى متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذى فهمه من قال إذا أرادوا الشىء قالوا سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به ، فانهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عنـد مايريدون الشىء ، وليس فى الآية ما يدل على ذلك ، بـل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد وقد دل الحـديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشىء وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بحالهم والله تعالى أعلم بالصواب .

مطبعة
دار رسائل الحبيب الإسلامية
٨ و ٩ شارع يعقوب بالمالية بمصر تليفون ٢١٨٢٥

فهرس كتاب حادى الارواح

الصفحة	الموضوع

الصفحة | الموضوع

تم الفهرست بحمد الله